هل تمّت القيامة...
حقّاً؟

[حوار حول الحياة والموت والرجاء]

أحاديث في مقهى

هل تمّت القيامة... حقّاً؟

جوش ماكدويل

و

دايف ستيريت

المحتويات

١. حالة توتّر في حرم الجامعة..... ٧
٢. الحزن..... ١٣
٣. عيد العشّاق..... ١٩
٤. يسوع يتكلّم عن السّماء..... ٢٦
٥. لماذا كان على يسوع أن يموت؟..... ٣٥
٦. هل يمكنني أن أكون مسيحيّاً من دون الإيمان بالقيامة؟..... ٤٧
٧. هل تنبأ يسوع بموته وقيامته؟..... ٥٧
٨. اعتبار احتمالات أخرى ٦٦
٩. أدلّة طبيّة على الصلب..... ٧٦
١٠. مدفون مع غنيٍّ..... ٨١
١١. نبوءة تمّ اكتشافها في مخطوطات البحر الميت..... ٨٧
١٢. عادات الدفن عند اليهود..... ١٠٠
١٣. حفلة شواء مساء يوم الخميس..... ١٠٧
١٤. إلفيس ومايكل جاكسون..... ١١٣

١٥. الحرّاس عند القبر.....١١٧
١٦. الجميع تخلّوا عنه وهربوا.....١٢٥
١٧. القبر الفارغ.....١٣١
١٨. أهميّة ظهورات يسوع.....١٣٧
١٩. الأجسام الروحانيّة.....١٤٣
٢٠. بولس وأعداؤه.....١٤٨
٢١. جيمس كاميرون وقبر يسوع المفقود.....١٥٦
٢٢. الديانة المسيحيّة والأساطير الوثنيّة.....١٦٥
٢٣. نظريّة الهلوسة.....١٧٢
٢٤. نظريّة المؤامرة.....١٨١
٢٥. أحد الفصح.....١٨٨

الفصل الأول

حالة توتّر في حرم الجامعة

كان التوتّرُ في الحرم الجامعي محتدماً. لم يمرّ على إدارة جامعة أوبال موسماً أكثر تقلّباً من هذا. ازدادت الانقسامات في الهيئة الطلّابية وبدأت تحتدّ وبدا أنَّ اللجوء إلى العنف أمر وشيك.

لطالما كانت السّياسة والقضايا الاجتماعيّة مواضيعَ حسّاسة بين الطلاّب، لكنّ العلاقات المتوتّرة في جامعة أوبال قد اشتعلت عندما قدّم أحد المدرِّسين دفاعاً قوياً عن المسيح التاريخيّ خلال مناظرة مع

عالِمَـين لاهوتيَّـين زائِرَيـن، أوَّلهمـا ملحـدٌ والآخـر لاأدريّ. وشـهدت الأسـابيع الـتي تلـت مواجهـات مسـتمرّة بـين المجموعـات الدينيّـة والملحـدة داخـل الجامعـة، وقـد اتّخـذت طابعـاً بشـعاً في بعـض الأحيـان.

كان جمـال واشـنطن، وهـو المـدرّس الـذي عـرض قضيّـة المسـيح التاريخـيّ في المناظـرة، طالـبَ دكتـوراه درَّسَ مسـاقاتٍ جامعيّـة عديـدة في كليّـة التعليـم الديـنيّ. كمـا أنّـه تـمَّ اعتبـاره مسـؤولاً عـن تغيـير المعتقـد الديـنيّ للأسـتاذ الفخـري للتعليـم الديـنيّ، الدكتـور ويليـام بيترسـون، وطـلاّبٍ عديديـن مـن نـادي الملحديـن.

بعـد مـرور شـهر عـلى المناظـرة، ألقـى الدكتـور بيترسـون محـاضرة مؤثّـرة حـول موضـوع ألوهيّـة المسـيح، وبعدهـا آمـن المزيـد مـن الطـلاّب بـأنّ يسـوع هـو ابـن الله. وبعـد محـاضرة الدكتـور بيترسـون حـدث أن تلقّـى جمـال رسـالة الكراهيَـة الأولى عـبر البريـد.

وجـد جمـال الرّسـالة الـتي لا تحمـل توقيعـاً عـلى أرضيّـة

مكتبه ذاتَ صباح، ومن الواضح أنّه تمَّ ادخالها من تحت الباب. لم يبدُ جمال قلقاً جداً حيال الأمر فهو كان يرى الخلاف كمجرّد «جوّ حام» غير مؤذٍ يُثيره عدد قليل من قادة الطلاّب المتشبّثين برأيهم. صحيح أنَّ أعضاء نادي الملحدين لم يوافقوا على رأي واشنطن وبيترسون، غير أنّهم لم يكونوا عدائيّين.

وكان بريت، وهو لأدريّ وقائدٌ سابقٌ في نادي الملحدين قد بدأ يعيد النظر في تشكيكه الشخصيّ. هو يأتي من عائلة تتمتّع بثقافة وتحصيل أكاديميّ عاليَين ومعروفة بتاريخ من التحقيق في الأفكار الجديدة قبل اعتناقها، فكان بريت يستغرق كلّ وقته في هذه المسألة المتعلّقة بيسوع. لم يكن باستطاعة أحد اتهّامه بتحوّلٍ عاطفيّ نحو أيّ معتقد، وبالأخصّ نحو الإيمان بالدين.

في وقت سابق في ذلك الأسبوع، وبناءً على دعوة نيك، كان بريت قد حضر حصّة يدرِّسها الدكتور بيترسون. مع أنّ هذا الأخير كان أستاذاً فخرياً، فهو كان يستبدل زملائه السّابقين في قسم التعليم الديني بشكل متكرّر. وفي تلك

الحصّة تمّ طرح موضوع قيامة يسوع، فقرّر بريت بعدها أن يقصد قاعة التعليم الدينيّ ليطرح على الدكتور بيترسون بعض الأسئلة. كانت مسألة القيامة مسألة أساسيّة في سعيه وراء الحقّ.

على بُعد مبنى من قاعة التعليم الدينيّ لاحظ بريت طلاّباً يفرّون من المبنى، ففكّر في نفسه «لا بدّ أنّه تدريب للتأهّب للحرائق»، لكن يوجد خطب ما «فلا أحد يركض أثناءَ التدريب لمواجهة الحرائق». ثمّ سمع صراخاً. كان بريت طالباً متخصّصاً في الطبّ، ومستعداً دائماً للمساعدة، وعلى الفور وضعه الصراخ في تلك الجهوزيّة. فصرخ: «عليّ الذهاب!» ثم اغلق هاتفه المحمول ووضعه في جيبه وأسرع راكضاً نحو مكان الحدث.

كان الطلاّب يتدفّقون من قاعة التعليم الدينيّ وهم يصرخون ويركضون في كلّ نحو وصوب. ومع اقتراب بريت، تعثّرت إحدى الفتيات ووقعت على العشب على بعد أقلّ من ستة أمتار منه. بدا أنَّ قميصها بأكمله ملطّخٌ بالدّماء، فجثا بريت إلى جانبها. كانت تلهث وبدت مذعورةً وهي

تحاول أن تقفَ على رجليها من جديد.

فـصرخ بريـت وسـط الفـوضى: «أيـن أُصبـتِ؟ مـاذا حصـل؟»

صرخـت قائلـةً: «لقـد أُصبـتُ بطلـقٍ نـاريّ! إنّـه يطلـق النـار عـلى الجميـع!»

فـوراً تنـاول بريـت هاتفـه المحمـول وطلـب الإسـعاف وصرخ طالبـاً النجـدة بصـوتٍ مرتعـش. لـم يسـتغرق الاتصـال أكـثر مـن دقيقـةٍ، ثـمّ حمـل الفتـاة بـين ذراعيـه ونقلهـا بـأسرع مـا يمكـن إلى مـكان آمـن في الجهـة المقابلـة مـن الشّـارع. كانـت تبـكي بطريقـةٍ هسـتيريّة.

«أين أُصبتِ؟»

قالت «في كتفي!» وبدا أنّها تدخل في حالة صدمة.

في هـذه الأثنـاء بـدأ صـوت صفّـارات الإنـذار يعلـو في كلِّ أرجـاء المـكان ووصلت سـيّارات الشّرطـة من كلّ جانـب. تدفّق رجـال الشّرطة خارجين من سـيّاراتهم وركضـوا في اتّجاه المبنى.

الحـدث برُمتِّـه كان يحصـل بسرعـة كبـيرة لدرجـة أنّـه بـدا مثـل حلـم... أو كابـوس غـير مفهـوم.

أُغميَ على الفتاة في حضن بريت.

الفصل الثاني

الحزن

بـدأت تفاصيـل القصّـة تتكشـف ببـطء. ضَـمَّ الدكتـور بيترسـون زوجتـه سـوزان بشـدّة وأجهشـا كلاهمـا بالبـكاء بينمـا شـاهدا التغطيـة الإعلاميّـة المتواصلـة الـتي أصبحـت تنقلهـا الآن جميـع المحطّـات التلفزيونيّـة. لقـي تسـع طـلاّب حتفهـم في عمليّـة إطـلاق النـار الـتي حصلـت في كليّـة التعليم الديـني... بمـن فيهـم جمـال واشـنطن، ونيـك ريـدلي ومُطلـق النـار الـذي انتهـى بـه الأمـر بإطـلاق النـار عـلى نفسـه. غمـرت مشـاعر الحـزن والذنـب العميـق الدكتـور بيترسـون، ولـم

ولـم يقـدر أن يتوقّـف عـن تأنيـب نفسـه لأنّـه لـم يـرَ أنَّ أمـراً كهـذا قـد يحصـل. لمـاذا لـم يلـحّ عـلى الإدارة أو الشّرطـة للتحقيـق في تفاصيـل مسـألة رسـائل الكراهيَـة والتهديـدات؟

قالـت سـوزان بيترسـون، في محاولـةٍ منهـا لتعزيـةِ زوجها: «لا تثقّـل عـلى نفسـك بـكلّ هـذا الذنـب يـا بيـل. لـم يكـن بوسـعك فعـل أكـثر ممّـا فعلـت لمنـع حصـول الحـادث. لقد أبلغـت السّـلطات عـن كلّ واحـدة مـن تلـك الرَّسـائل.»

حـتّى الآن، كشـفت التّغطيـة الإعلاميّـة عـن أنّ مطلـق النـار كان طالبـاً. وعـلى أمثـال الكثـير مـن القتلـة في حـرم الجامعـات، كان شـاباً مضطربـاً ووحيـداً، وأصدقـاؤه قليلـون. وقـال رفيقـه في السـكن في مقابلـة أُجريـت معـه: «لـم يتحـدّث معـي يومـاً. كنّـا ندعـوه أحيانـاً لإمضـاء وقتـاً معنـا، ولكنّـه كان يرفـض دائمـاً ويتـصرّف بغرابـة معنـا. لـم يخطـر ببالنـا أنّـه قـد يخطّـط لقتـل أحـد! ظنّنـا ببسـاطة أنّـه غريـب الأطـوار.»

علّـق طالـب آخـر، وهو فـردٌ مـن أعضـاءِ نـادي الملحدين بأنّـه رأى مطلـق النـار المشـتبه بـه يحـضر اجتماعـات عديدة

في نـادي الملحديـن «نـادراً مـا تكلّـم، ولكـن في المـرَّات القليلة الـتي تكلَّـم فيهـا بـدا دائمـاً غاضبـاً عـلى المسـيحيّين. مـن الواضـح أنَّ كان لديـه مشـاكل بالسـيطرة عـلى الغضـب.»

قالـت سـوزان بينمـا عـادت لتتابـع النقـل التلفزيـوني: «يـا بيـل، هـذا الطالـب الـذي يجـرون معـه المقابلـة يبـدو مألوفـاً.»

ردّ بيـل: «أجـل أنـتِ عـلى حـقّ، هـذا بريـت. أحـضرَه نيـك عندنـا هنـا بعـد محـاضرتي. وكان مـن المفـترض أن ألتقـي بـه هـذا الصبـاح.»

«حسـناً، لقـد تذكرتـه الآن. إنَّـه الشـابّ الـذي جـاء بدرّاجتـه النـاريّـة؟»

«هـذا هـو بعينـه. إنَّـه طالـب متخصّـص في الطـبّ وشـابٌّ لامـعٌ للغايـة.»

اسـتدار المراسـل ليواجـه الكاميرا وقال: «نحـن نتكلّم الآن مـع بريـت ويلسـون، وهـو طالـب في سـنته الأخـيرة في جامعـة

أوبـال، وكان في طريقـه لمقابلـة أسـتاذ التعليـم الديـنيّ عندما رأى طالبـة شـابّة ملطّخـة بالدّمـاء تركض خارجةً مـن مبنى كليّة التعليـم الديـنيّ. هـلّا أخبرتنا بمـا حدث مرَّةً أخـرى يا بريت؟»

«كان الطـلاّب يهرعـون بالوفـود إلى خـارج المبـنى، ثـمَّ بينمـا كنـت أهُـمُّ بالاقـتراب مـن البـاب الرئيـسي وقعـت أرضـاً أمامـي طالبـة شـابّة مـن بينهـم. لاحظـتُ أنّ كتفهـا مغطّـى بالدّمـاء، فاتصلـت بالإسـعاف وفي غضـون دقائـق وصلـوا مـع الشرطـة.»

«لقـد ذكـرتَ لي أيضـاً قبـل النقـل المبـاشر عـلى الهـواء بأنّـك التقيـت بالقاتـل المشـتبه بـه قبـل عـدَّة أشـهر.»

«هــذا صحيــح. أنــا لا أذكــرُ اســمه ولكنّــه حــضر اجتماعـات عـدّة في نـادي الملحديـن. لـم يكـن منسـجماً كمـا يجـب مـع المجموعـة وبـدت تصرّفاتـه غريبـة. كمـا أنّـه قـال كلامـاً أشـعَرَ النـاس بعـدم الارتيـاح. لكنَّـه ذكيّ جـداً، وأذكـر أنّـني تجادلـت معـه في إحـدى المـرّات.»

سأل المراسل: «ولماذا تجادلت معه؟»

«كما سبق وذكرت، كان عصبياً وغضوباً في معظم الأوقات. وقد جاء مرَّةً إلى أحد اجتماعاتنا وقال: «إذا لم يكن الله موجوداً، فإذاً لا يوجد صواب أو خطأ. وبما أنّنا مجرّد نتيجة عمليّة تطويريّة حتميَّة، علينا التخلّص من جميع الدّيانات والأشخاص المصابين بتشوّهات جينيّة والشعوب الأدنى مستوى.» هذا هو الموضوع الذي تجادلنا بشأنه، وطلبنا منه ألاّ يعود مجدداً لأنّنا لا نتقبَّل التمييز العنصريّ في نادينا. ولم نرَهُ من جديد بعد ذلك.»

سأل المراسل: «لماذا لم تبلِّغوا عن ذلك الأمر؟»

«بصراحة، لم يأخذ أيّ منّا كلامه على محمل الجدّ. ظننّا أنَّه طالب في السَّنة الأولى قسم الفلسفة وأنَّه يجرّب ما يتعلّمه على مجموعتنا! لم نتخيّل يوماً بأنّه يتكلّم جديّاً عن التخلّص من الناس. يلتقي المرء بالكثير من الطلّاب العنصريّين في الجامعة، وفي غالب الأحيان هم لا يعودون إلى مجموعتنا حين يدركون أنّنا لا نشاركهم الرّأي نفسه. لم تخطر في بالنا أدنى فكرة بأنّ هذا الشابّ جديٌّ في ما يقوله، وحتّى يوم أمس لم يعرف أيّ منّا بأنّ السيِّد واشنطن كان قد

تلقّى تهديدات بالموت!»

وبينما تابع آل بيترسون مشاهدة التلفزيون، بكيا وصلّيا حتَّى على الرغم من كلِّ الرُّعب في النفوس يتمجَّد الله بطريقةٍ ما في هذه الفاجعة التي لا يفهمها عقل. كما صلّيا من أجل والدَي نيك وعائلة جمال ومن أجل كلّ الآخرين الذين تضرّروا في هذه الحادثة، لاسيَّما لجيسيكا ومينا وأندريا وبريت، الأصدقاء المقرَّبين لنيك وجمال.

الفصل الثالث

عيد العشّاق

جلست مجموعة تضمّ أكثر من عشر نساء من الخدمة الجامعيّة حول الطاولة يضحكن. كان يوم ١٤ فبراير/شباط وكنّ يستمتعن بتناول الحلوى في تشيزكايك فاكتوري. كانت أندريا تخبر قصصاً مضحكة، وبدا أنّ الفتيات الجديدات يندمجن بشكل جيّد مع المجموعة. وبينما ضحكت الفتيات، لاحظت جيسيكا الورودَ الموجودة على طاولة حبيبين شابين بالقرب منهنّ.

كانت تفكّر في نيك طوال اليوم وكانت تفتقدُه بشكل لا يوصف. لقد مرَّت

ثلاثة أشهر تقريباً منذ انتقاله ومع أنّها تؤمن بأنّ الله قد سمح بهذه المأساة، كانت لا تزال تتألّم.

وبعد أن خفّ زخم الحديث، مالت أندريا نحوها وقالت: «أنا أشعر معكِ يا جيسيكا. أعرف أنَّ اليوم صعب للغاية بالنسبة إليكِ.»

«شكراً لكِ يا أندريا. أنا آسفة لأنّي شردتُ بأفكاري. حتّى بصحبة أفضل صديقاتي، لا زلت أشعر بالوحدة بطريقة أو بأخرى.»

«لا بأس بذلك. نيك كان رائعاً وشجاعاً وأعرف أنّكِ تفتقدينه.»

كانت الأخبار الإعلاميّة قد نقلت حقيقة ما حصل وهي أنّ نيك قد توفي بينما كان يحاول حماية جمال. والملفت هو أنَّ القنوات التلفزيونيّة ذكرت كلمات يسوع «ليس لأحد حبٌّ أعظم من هذا: أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبّائه»[1] لوصف عمل نيك البطوليّ. وقد حفَّزت

١. يوحنا ١٥: ١٣

عمليَّـة إطـلاق النـار الكثـير مـن المسـيحيّين عـلى التحـلّي بالجـرأة في إظهـار إيمانهـم وتفسـيره، وتضاعفـت أعـداد الحضـور في لقـاءات الخدمـات الجامعيـة المسـيحيّة.

سـمعت عـدَّة فتيـات حديـث جيسـيكا وأندريـا وهمـا تتكلّمـان، وراحـت المجموعـة كلّهـا تراقبهمـا بصمـت. ردّت جيسـيكا وهـي تحـاول كبـح دموعهـا: "أنـا ممتنّـة لكـنّ جميعـاً أيّتهـا الفتيـات. أنـا أحبكـنّ جميعـاً، ولا يوجـد مكانـاً أرغـب أن أكـون فيـه أفضـل مـن رفقتِكـنَّ هنـا.»

قالـت أندريـا: «نحـن نحبّـكِ أيضـاً يـا جيسـيكا، ويومـاً مـا سـنرى نيـك وجمـال مـن جديـد.»

فكّـرت لوريـن في نفسـها بينمـا كانـت أندريـا تعـزّي جيسـيكا «مـاذا؟ كيـف يمكـن معرفـة ذلـك؟» كانـت لوريـن طالبـة في الطـبّ وقـد تعرَّفـت بهـذه المجموعـة مـن الفتيـات مـن خـلال صداقتهـا مـع أندريـا وبريـت في نـادي الملحديـن. ومـع أنّ هـؤلاء الثلاثـة قـد تركـوا النـادي مـذاك الحـين، إلا أنَّ لوريـن بقيـت لأدريّـة ولـم تشـارك الأخريـات قناعاتِهـنّ بشـأن الحيـاة الأبديّـة.

كلّ ليلة أربعاء، كان قادة الخدمة الجامعيّة يلتقون لشرب القهوة والمناقشة في مقهى كاروث هايفن. ومع أنّ اجتماعاتهم كانت صعبة للغاية في الأسابيع الأولى التي تلت حادثة إطلاق النار، إلا أنَّهم استمرَّوا في اللقاء وها هم الآن قد استعادوا الوتيرة المعتادة. كانت جيسيكا تتطلّع بشوق لهذه اللقاءات، على الرغم من افتقادها لنيك.

بعد أن حضر البعض في ليلة الأربعاء التي تلت عيد العشّاق وجلسن، بادرت لورين بالكلام قائلة: «حسناً، جميعكنَّ تعرفن أنّ لديّ الكثير من الأسئلة الروحيّة. أنا أعتذر على حدّة سؤالي الأوَّل لكن لا يمكنني التوقّف عن التفكير في موضوع السَّماء. لقد ذكرتم الأمر مرّات كثيرة منذ... مممم... منذ الخريف الماضي عندما...»

قالت أندريا: «منذ عمليّة إطلاق النار.»

أومأت لورين إيجاباً، ونظرت إلى جيسيكا ومينا «لماذا

أنتما متأكّدتين جداً من فكرة السماء، وما الذي تتصوّرانه عندما تقولان ذلك؟»

ردّت جيسيكا أوّلاً وقالت: «يا لورين، غالباً ما تكلّم يسوع عن السماء، وأحد المقاطع المفضّلة لديّ هو في إنجيل يوحنا، الفصل الرابع عشر، حيث قال يسوع لتلاميذه: «في بيت أبي منازل كثيرة، وإلاّ فإنّي كنتُ قد قلتُ لكم. أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق.»[٢] حفظتُ هذه الآية لأنّها تذكّرني بأنّ يسوع يريد قضاء الأبديّة معنا. وثمّة مقطع آخر أحبُّه من سفر الرّؤيا ولكن لم أحفظه. إنّه موجود على هاتفي، انتظري لحظة.»

استمعَت لورين ببساطة إلى الكلام مع أنّها داخلياً لم توافق على ما سمعته «لا يجدر بي الإفصاح لها عن الأمر لكنّ الكثير من الديانات الأخرى تذكر مسألة الحياة

٢. يوحنا ١٤: ٢-٣

بعـد المـوت. الديانـة المسـيحيّة ليسـت فريـدةً مـن نوعهـا في القيـام بادّعـاءات حول السّـماء».

وجـدت جيسـيكا الآيـة: «في سـفر الرؤيـا، أعطـى الله ليوحنـا رؤيـاً عـن السّـماء. هكـذا يصفهـا يوحنـا:»

وسـمعتُ صوتـاً عظيمـاً مـن السَّـماء قائـلاً: «هـوذا مسـكن الله مـع النـاس، وهـو سيسـكن معهـم، وهـم يكونـون لـه شـعباً، والله نفسـه يكـون معهـم إلهـاً لهـم. وسيمسـح الله كلّ دمعـةٍ مـن عيونهـم، والمـوت لا يكـون في مـا بعـد، ولا يكـون حـزنٌ ولا صراخٌ ولا وجـعٌ في مـا بعـد، لأنّ الأمـور الأولى قـد مضـت.»[٣]

آيمـي، وهـي لأدريّـة أخـرى جـاءت مـع لوريـن، تكلّمـت ثانيـاً: «حسـناً، هـل يعـني هـذا أنّ أصدقاءنـا الذيـن ماتـوا هـم في السـماء الآن؟ أم أنَّ ذلـك سـيحصل في المسـتقبل؟»

ردّت جيسـيكا: «أنـا أؤمـن أنّهـم في السـماء الآن، ولكـن ربمـا لـدى مينـا معلومـات تشـارك بهـا حـول هـذه المسـألة.»

٣. الرُّؤيا ٢١: ٣-٤

كانت مينا طالبة حقوق في جامعة أوبال وتكلَّمت بثقة أكثر من جيسيكا: «هذا سؤال جيّد يا آيمي. في الواقع، الجواب هو الأمرين معاً. نحن نعلم أنّ الله سيخلق سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لأنّ الكتاب المقدّس يقول ذلك في رسالة بطرس الثانية وفي سفر الرّؤيا. كما أنّي أؤمن بأنّ أصدقاءنا هم الآن في مكان حقيقيّ يُدعى السماء لأنَّه يوجد أدلّة كتابيّة على ذلك أيضاً. قال يسوع للصّ على الصليب: «اليوم ستكون معي في الفردوس»[٤]. وكتب بولس الرسول إلى كنيسة كورنثوس قائلاً: «نثقُ ونُسَرُّ بالأولى أن نتغرَّبَ عن الجسد ونستوطن عند الرب»[٥].»

٤. لوقا ٢٣: ٤٣

٥. كورنثوس الثانية ٥: ٨

الفصل الرابع

يسوع يتكلّم عن السّماء

دخلت أندريا في الحديث قائلةً: «لقد قرأت للتوّ القصّة التي أخبرها يسوع عن الرّجل الغنيّ ولعازر. وهو يصف أنَّ الرجلين ماتا وذهبا إلى... حسناً، لعازر وحده ذهب إلى السّماء مباشرةً.»

قالت لورين: «لم أسمع بتلك القصَّة من قبل. أخبريني المزيد.»

"حسناً، أمهليني لحظة، دعيني أرى إذا كان كتابي المقدّس في حقيبتي... لا ليس هنا، لا أحمل الكتاب المقدّس معي.

يـا جيسـيكا، أيمكنـك قـراءة تلـك القصَّـة؟ إنَّهـا في إنجيـل لوقـا الفصـل السـادس عـشر.»

«طبعـاً.» كانـت جيسـيكا لا تـزال تتعلّـم كيفيّة اسـتخدام الكتـاب المقـدّس، فاسـتغرق معهـا الأمـر بضعـة لحظـات. «حسـناً، القصّـة طويلـة نوعـاً مـا، فاصـبري عـليّ قليـلاً.»

قـال يسـوع: «كان إنسـان غـنيّ وكان يلبـس الأرجـوان والـبزَّ وهـو يتنعّـم كل يـوم مُترَفّهـاً. وكان مسـكين اسـمه لعـازر الـذي طـرح عنـد بابـه مضروبـاً بالقـروح، ويشـتهي أن يشـبع مـن الفتـات السّـاقط مـن مائـدة الغـنيّ، بـل كانـت الـكلاب تـأتي وتلحـسُ قروحـه.

فمـات المسـكينُ وحملتـه الملائكـة إلى حضـن ابراهيـم. ومـات الغـنيّ أيضـاً ودُفـن فرفـع عينيـه في الهاويـة وهـو في العـذاب، ورأى ابراهيـم مـن بعيـد ولعـازر في حضنـه.

فنـادى: يـا أبي ابراهيـم ارحمـني وأرسـل لعـازر ليبـلَّ طرف إصبعه بماء ويبرّدَ لساني لأنّي معذّب في هذا اللهيب.

فقال ابراهيم: يا ابني اذكر أنّك استوفيتَ خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزّى وأنت تتعذّب. وفوق هذا كلّه بيننا وبينكم هوّةٌ عظيمة قد أُثبتت حتّى أنّ الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا.

فقال: أسألك إذاً يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي، لأنّ لي خمسة إخوة، حتّى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا.

قال له ابراهيم: عندهم موسى والأنبياء. ليسمعوا منهم.

فقال: لا يا أبي ابراهيم. بل إذا مضى إليهم واحدٌ من الأموات يتوبون.

فقال له: إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحدٌ من الأموات يُصدِّقون.»[٦]

٦. لوقا ١٦: ١٩-٣١

بينما كانت جيسيكا تقرأ، نظرت أندريا إلى لورين ورأتها تضغط على أصابعها وتحدّق حولها بنظرات فارغة، «لا يبدو عليها أنّها تحبّ تلك القصّة كثيراً.»

لم يقل أحد شيئاً عندما أنهت جيسيكا قراءتها، فتكلّمت مينا: «كانت جيسيكا على حقّ عندما قالت إنّ يسوع غالباً ما تكلّم عن السماء. إليكنّ آيةً أخرى.» فتحت كتابها المقدّس إلى إنجيل لوقا وقرأت: «وَلكِنْ، عِنْدَمَا تُقِيمُ وَلِيمَةً ادْعُ الْفُقَرَاءَ وَالْمُعَاقِينَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ؛ فَتَكُونَ مُبَارَكاً لأَنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَمْلِكُونَ مَا يُكَافِئُونَكَ بِهِ، فَإِنَّكَ تُكَافَأُ فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ.»[٧]

قاطعتها أندريا قائلةً: «بماذا تفكّرين يا لورين؟ أعرف أنّ لديك ما تقولينه لكنّك تمتنعين عن الكلام.»

نظرت إليها لورين وأجابت: «أنا بالحقيقة لا أريد أن أقول شيئاً قد يسيء إليكنّ أو يزعجُكنّ. أنا أعلم أنّكنّ تفتقدن جمال ونيك وأحترمكنّ على الإيمان بأنّكنّ سترونهما في السَّماء.

٧. لوقا ١٤: ١٣-١٤

أنا لست ضدَّ الإيمان بفكرة الله والسماء، لكنّ القصّة التي قرأتِها للتوّ ليست فعلاً فريدة من نوعها. فالكثير من الفلاسفة والمعلّمين تكلّموا عن الحياة بعد الموت، وليس يسوع وحده. لا أقصد أن أكون فظّةً ولكنّ سؤالي جديٌّ، ما الذي يجعل تعليم يسوع عن الحياة بعد الموت أكثر قابليّة للتصديق من تعاليم سقراط أو سيدهارتا غوتاما بوذا أو محمّد؟»

ردّت أندريا باندفاع: «لأنّ ما قاله يسوع منطقيٌّ أكثر.»

«ربّما يبدو كذلك بالنّسبةِ إليكِ ولكن بالنّسبة إلى بوذيٍّ أو مسلمٍ أو شخص آخر قد تكون وجهة نظر أُخرى أكثر منطقيَّة. لماذا علينا أن نصدّق يسوع بدلاً منهم؟»

رَدَّت مينا: «القيامة.»

رفعت لورين حاجبيها، «ستكون هذه الفتاة محامية ماهرة في الدعاوى القضائيّة في نهاية دراساتها في الحقوق.»

سألت أندريا: «ما معنى كلامك؟ كيف تجعل القيامة يسوع مختلفاً؟»

«لـم يتكلّـم يسـوع عـن الحيـاة بعـد المـوت فحسـب. بـل وقـد برهنهـا.»

سألت لورين: «كيف ذلك يا مينا؟»

«حسـناً، لغايـة زَمـنِ المسـيح آمـن البعـض مـن اليهـود بأنّـه في نهايـة الأيّـام سـوفَ تقوم العظـام وتعـود إلى الحياة. ولكـن بالنسـبة إلى الكثـير منهـم، كان ذلـك مجـرّد تكهّـن مـن دون وجـود أيّ دليـل يثبتـه. مـن ثـمّ وصل يسـوع إلى السـاحّة وابتـدأ يقـول إنّـه «سـوف تكـون قيامـة للأمـوات جسـدياً» و «أنـا هـو القيامـة والحيـاة. مـن آمـن بي ولـو مـات فسـيَحيا، وكلّ مـن كان حيّـاً وآمـنَ بي فلـن يمـوتَ الى الأبـد.»[٨] مـن ثـمّ دعـا يسـوع النـاس إلى الإيمـان بـه لنيل وعـود القيامـة بكاملِها. بعدهـا، قـال لتلاميـذه إنّـه سيُسـلّم إلى أيـدي الخطـأة ويُصلـب ويقـوم في اليـوم الثالـث.[٩] وقـد أُثبتت كلمات يسـوع النبويَّـة إذ أنّـه تمّـم جميـع تلـك التفاصيـل في وقـت لاحـق وقـام جسـدياً مـن بـين الأمـوات. كمـا وقـال يسـوع لأتباعـه

٨. يوحنا ١١: ٢٥-٢٦

٩. لوقا ٢٤: ٧

«إنّي أنا حيّ فأنتم ستحيون».»[١٠]

كانت لورين قد سمعت بما فيه الكفاية واستاءت من كلّ تلك المزاعم عن قيامة يسوع لكن لم تكن تعرف كيف تناقضها. كما أنّها أرادت تجنُّبَ الدّخول في جدال دينيٍّ آخر يتغلَّب عليها فيه الآخرون بذكائهم كالعادة. فكّرت لورين في نفسها، «ربما الله موجود بالفعل، ولكنّ هذه الأمور المختصّة بيسوع تبدو بعيدة المنال وقائمة على التعصّب بالنسبة إليّ. فكيف أخرج من هذا الموقف؟»

«يا فتيات، لم أكن أرغب في الدّخول في جدالٍ دينيٍّ هذا المساء. أنا أعرف أنّ إيمانكنّ المسيحيّ يريحكنّ، ولكنّي بصدق لا أظنّ أنكنَّ تستطعن المعرفة يقيناً أنَّ قيامة يسوع حقيقيّة. ما أعنيه هو أنّي حتّى وإن كنتُ مسيحيّة فلا أظنّ أنّني كنتُ سأؤمن بأنّه قام من بين الأموات حرفيّاً. كانت لديه بعض الأقوال الصَّالحة، وأنا أعرف أنّ المسيحيّة تتمحور حول تمتُّع الإنسان بأفكار جيِّدة وإيجابيَّة ومحبَّة الآخر من دون إدانته والسعي إلى

١٠. يوحنا ١٤: ١٩

تحقيق العدالة الاجتماعيّة، ولكن ما نفع كلّ ذلك الإصرار على القيامة والتمسُّك بها؟»

عبَست لورين بينما تابعت قائلةً: «أتعرفن شيئاً؟ حتّى راعي الكنيسة في بلدتي لم يكن يؤمن أنّ القيامة حرفيّة. كان يقول إنّ يسوع يقوم في قلوب الذين يؤمنون. لطالما اعتبر والداي ذلك الأمر منطقيّاً وأنا لا أرى ما الخطب فيه.»

هذه المرّة تكلّمت جيسيكا وقالت: «يا لورين، إذا قرَّرتِ يوماً أن تصبحي مسيحيّة فسيكون عليكِ أن تؤمني بالقيامة التاريخيّة للمسيح لأنَّها أساس المسيحيّة. قال بولس الرّسول: «إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم».[11] من دون القيامة، المسيحيّة غير مجدية لشيء. مات يسوع ليدفع ثمن خطايا العالم. لو كان مُذنباً بخطيئة نفسه، لما كان عاد إلى الحياة إذ أنَّ الموت هو عقوبة الخطيئة. إنَّ حقيقة عودته إلى الحياة تُثبت أنّه من دون خطيئة، وهذا يعني أنّ

١١. كورنثوس الأولى ١٥: ١٧

موته كان ثمناً فعلياً لخطاياي وخطايا الجميع. لهذا قال بولس إنّنا نكون لا زلنا في خطايانا إذا لم يقم المسيح من بين الأموات. كان ذلك سيعني أنّ الله لم يقبل بالثمن الذي دفعه. أعرف أنّ ما سأقوله سيبدو فظاً ولكن عليّ أن أقول لكِ هذا: إنَّ الشخص الذي ينكر قيامة يسوع المسيح جسدياً ليس مسيحياً حقيقياً.»

فكَّرت لورين «ما هذا التسرّع في دينونة الآخرين؟! من هي لتقرّر من هو المسيحيّ الحقيقي ومن ليس كذلك؟» ثمَّ قالت: «حسناً، شكراً لك على اعطاء رأيكِ يا جيسيكا، إنّه متعصّب بعض الشيء ولكنّي أعلم أنّكِ في فترة حزن. أعرف أيضاً أنَّ بريت وسكوت يهتمّان لِهذه الأمور المتعلّقة بالمسيح التاريخيّ أكثر منّي إذاً ربّما علينا أن نترك كلّ هذا الحديث للمرّة القادمة حين ينضمّان إلينا.»

قالت مينا: «هذه فكرة جيّدة. بالإضافة إلى ذلك، أنا عليّ العودة إلى المنزل والبدء بالدّراسة. لديّ امتحان هامّ جداً غداً.»

الفصل الخامس

لماذا كان على يسوع أن يموت؟

سأل بريت: «كيف كان لقاء أمس؟» كان قد رأى لورين ذاهبةً إلى الصفّ، فسارع للالتقاء بها.

قالت لورين: «كان غريباً. أنا أحبّ أولئك الفتيات وأعرف أنَّهنّ يهتممن لأمري، ولكن لديهنّ أجوبةً على كلّ شيء.»

«ربّما هنّ يصدِّقن ذلك.»

نظرت إليه لورين: «ماذا يُفترض أن يعني ذلك؟»

«أتذكرين تلك المرّة التي كنّا فيها مع

جايسن وريجينا وابتدآ يقومان بتعليقات على الرّعاية الصحيّة؟ لم تكن لديكِ أيّ مشكلة في الدفاع عن رأيك في تلك الليلة. مع الإشارة إلى أنّ ريجينا لم تسامحكِ يوماً برأيي!»

ضحكا وهما يتذكّران ذلك الموقف الغريب. قالت لورين: «وماذا تقصد إذاً؟»

«ما أعنيه ببساطة هو أنّ أولئك الفتيات يهتممن لما يؤمنَّ به وقد بحثن في الموضوع وهنَّ يدرسن دائماً بهدف استكشاف الحقيقة.»

توقّفت لورين في منتصف الرّصيف: «يا بريت، هل لديكَ شيء تريد أن تقوله لي؟»

«لا، كلّ ما أقوله هو لا تغضبي بسبب كلّ أجوبتهنّ. هنّ يهتممن لأمر ما يؤمِنَّ به وأنا أحترمهنّ لذلك.»

قالت لورين: «أنا أيضاً أهتمّ لأمر ما أؤمن به، ولهذا السبب لا أؤمن بالأساطير والخرافات.»

في مساء الأربعاء التالي، وصلت أندريا وجيسيكا باكراً وجلستا على المقاعد الخارجيّة بانتظار وصول أصدقائِهما. تحدَّثتا بأمور الكليَّة وعن اجتماع"أنا ثانياً" الذي أُقيم في الليلة السابقة وعن كم لا تزالان تفتقدان نيك. وبينما كانتا تصلّيان من أجل المحادثة التي ستجري الليلة وصل كلّ من لورين وسكوت وآيمي وبريت.

تشاركوا قليلاً بالأخبار المحليَّة عن الإعصار الذي ضرب الساحل الشرقيّ، ولاعب الهجوم الجديد الذي انضمَّ لفريق دالاس كاوبويز في مبادلة حصلت مؤخّراً، والأستاذ الذي تمَّ طرده من جامعة أخرى بسبب تصريحاته في موضوع الأخلاقيّات. من ثمّ غيّر بريت اتّجاهَ المحادثة نحو السؤال الذي طرحنه الأسبوع الماضي.

«يا أندريا وجيسيكا، أخبَرَتني لورين عن نقاش الأسبوع الماضي حول القيامة. كلاكما تعلمان بأنّني لطالما

كنتُ ملحداً، ولكن في الآونة الأخيرة أصبحتُ مهتمّاً بموضوع الحياة بعد الموت وحقيقة السّماء. هل بإمكانكما إخباري المزيد عن العلاقة بين الحياة بعد الموت وقيامة المسيح الجَسَديّة؟ لقد سمعتُ كلاماً عن ذلك على لسان فلاسفة مسيحيِّين ولكنّني لا زلتُ لا أفهم المقصد.»

تكلّمت جيسيكا أوّلاً: « قال يسوع لتلاميذه «إنّي أنا حيّ فأنتم ستحيون» مع أنّه تنبّأ بموتهم. بمعنى آخر، كان يسوع يعِدُهم بالحياة الأبديّة. كتب يوحنا أنّ يسوع وعد أتباعه بالحياة الأبديّة ولكن أيضاً في بعض من كلماته الأخيرة، قال يسوع لبطرس إنّه سيموت شهيداً. أتمنّى لو كان أيّ من مينا أو الدكتور بيترسون هنا ليفسِّرا المسألة من الناحية الأكاديميّة. ممّا أذكره، كان يوجد بعض المجموعات اليهوديّة مثل الفرِّيسيّين الذين آمنوا أنّ الجسد البشريّ سيُقام يوماً ما، لكنّ يسوع لم يكتفِ بالتعليم عن ذلك فحسب، بل أظهره وأثبت مزاعمه بقيامته حرفيّاً من بين الأموات.»

ردَّت لوريـن: «لمـاذا تؤمنـون أنتـم المسـيحيِّين بأنّـه كان عـلى يسـوع أن يمـوت؟ لمـاذا قـد يلجـأ إلـه محـبّ إلى تلـك الدرجـات مـن القسـوة؟»

قالـت جيسـيكا: «كان الهـدف مـن مـوت يسـوع إصـلاح علاقتنـا مـع الله. وُلدنـا جميعنـا خطـأة، ولا يمكـن للخطـأة الوقـوف أمـام الله لأنّـه قـدّوس. الخطيئـة تُشـبه القـذارة. فـإذا كنـتَ تعمـل في حديقتـكَ ودخلـت إلى الداخـل مغطّـى بالوحـل والعـرق، لا يمكنـك المسـارعة لمعانقـة شـقيقتك وهـي تجـرّب فسـتان زفافهـا. عليـك أن تنظّـف نفسـك أوّلاً. هكـذا هـي الحـال مـع الخطيئـة والله. لسـوء الحـظّ، الثمـن الوحيـد للخطيئـة هـو المـوت، ولا يمكـن أن يتـمَّ دَفـع ثمَـنِ خطيئـةِ أحدهـم إلاّ بمـوت شـخصٍ كامـل بـدون خطيئـة بدلاً عنـه. لا يمكـن أن ينظّـف شـيئاً قـذراً إلا بـشيء نظيـف.»[١٢] توقّفـت جيسـيكا قليـلاً في محاولـةٍ لاسـتجماع أفكارهـا.

قال بريت: «أكملي.»

«حسـناً، والشـخص الوحيد الـذي كان كاملاً عـلى الإطلاق

١٢. راجع رومية ٣: ٢٣؛ ٥: ٦-١١. ٦: ٢٣

هـو يسـوع المسـيح. كان كامـلاً لأنّـه كان ابـن الله، ليـس ابـن انسـانٍ خاطـئ. لذلـك فـإنَّ يسـوع كان الشـخص الوحيـد الـذي يسـتطيع دفـع ثمـن خطيئـة شـخصٍ آخـر. إحـدى الآيـات المفضّلـة لـديّ هـي الآيـة في يوحنـا ٣: ١٦ وجـاء فيهـا «لأنّـه هكـذا أحـبّ الله العالـم حـتّى بـذل ابنـه الوحيـد، لـكي لا يهلـك كلّ مـن يؤمـن بـه، بـل تكـون لـه الحيـاة الأبديّـة.»[١٣]

دخـل بريـت في الحديـث: «حسـناً يـا جيسـيكا، دعيـني أؤدِّي دور محامـي الشـيطان. إذا كان الله كليَّ القـدرة، فلمـاذا لا يمكنـه أن يغفـر للجميـع ببسـاطة؟ أنـا أقصـد أنَّـه إذا ارتكـب سـكوت الـشرّ بحقّـي، يمكنـني أن أغفـر لـه. ليـس مـن الـضَّروريّ تعذيـب أحـد أو قتلـه. إذا كان الله هـو الله ويمكنـه فعـل أيَّ شيء، فلمـاذا لا يقـدر أن يغفـر لنـا ببسـاطة؟ لمـاذا كان عـلى يسـوع أن يمـوت؟»

سألت أندريا: «هل يمكنني الإجابة عن هذا السؤال؟»

ردّ بريت: «بالطبع.»

---

١٣. يوحنا ٣: ١٦

«كنتُ أتساءَلُ حول الأمر نفسه. إليكَ الجواب. الله لا يستطيع فعل كلَّ شيء. لا يمكنه أن يفعل الأمور التي تخالف طبيعته. هذا ما يقوله الكتاب المقدّس.»

قال سكوت: «كيف هذا؟ ظننتُ أنّه من المفترض أنَّ الله يستطيع فعل أيّ شيء.»

ردّت أندريا: «فكّر في الأمر يا سكوت، الكتاب المقدّس يقول إنّه من المستحيل على الله أن يكذب. لماذا؟ لأنّه هو الحقّ. من المستحيل على الله أن يقوم بأعمال غير منطقيّة مثل صُنع «متزوّج عازب» أو «دائرة مربّعة» أو «حجر كبير لدرجةٍ يعجزُ فيها هو عن حمله». لا يمكن لله أن يرتكب الخطأ. إنّه إله نظام وقداسة ولا يمكنه أن يفعل شيئاً يخالف شخصه أو من هو.»

قالت لورين: «إذاً، أندريا أو جيسيكا، هلّا فسّرتما لي من جديد كيف يرتبط ذلك بضرورة موت يسوع.»

ردّت جيسيكا: «طبعاً. هذا ما حاولتُ وصفه بمثال فستان الزّفاف. الله بطبيعته قدّوس. هذا يعني أنّه

منفصل تماماً عن الخطيئة. والله بطبيعته، أو بشخصه كما سمَّته أندريا، هو عادلٌ وصالح. وليس من العدل بالنسبة إليه أن تمرَّ الخطيئة من دون عقاب. لكنَّ الله محبَّة أيضاً. لذلك أرسل ابنه، يسوع المسيح، ليكون الذبيحة الكاملة لدفع ثمن الخطيئة. في العهد القديم، كان الكاهن يذبح حملاً كاملاً بلا عيب ويعترف بخطايا الشعب. ومع أنّ تلك الذبيحة لم تكن ملائمة لأنَّه لا تستطيع الحيوانات دفع ثمن خطايا البشر، إلاَّ أنَّ الله قد سمح بها للتمهيد لشيءٍ أفضل سيأتي لاحقاً. هذا «الشيء الأفضل» كان المسيح. بما أنّه كان ينبغي أن تكون الذّبيحة كاملة، وجبَ أن تكون الذبيحة الله، لأنّ الله وحده كامل. وبما أنّه كان ينبغي أن تكون الذبيحة بشريّة من أجل دفع ثمن خطيئة البشر، كان على الله أن يتّخذ صورةً بشريّة. لهذا فإنّ المسيح الذي هو الله بشكل كامل وموجودٌ منذ الأزل،[١٤] تجسّدَ في صورةٍ بشريّة وجاء إلى الأرض ليموت عنّا، فأرضى بذلك عدل الله وقداسته على حدّ سواء وعبَّر عن محبَّة الله

١٤. راجع يوحنا ١: ١-١٣

في الوقـت نفسـه. لهـذا السّـبب يمكننـا الحصـول عـلى الغفـران.»

قالـت مينـا وهـي تسـحبُ كرسـيّاً: «هـذا تفسـير جميـل يـا جيسـيكا. مـا وصفَتْـهُ للتـو يُسـمّى بالكفّـارة.»

قالت لورين: «تسرّني رؤيتك يا مينا.»

«تسرّني رؤيتكم جميعاً!».

قـال بريـت: «يـا مينـا، نحـن نتحـدّث عـن مـوت المسـيح وقيامتـه وانعكاسـات ذلـك عـلى الأبديَّـة. مـن الناحيـة المنطقيّـة، لـم أقتنـع بوجـود أيّ رابـط. ربمـا يمكنـكِ أن تخبرينـا لمـاذا تعتبريـن أنّ للقيامـة أهميَّـة كبـيرة؟»

«حسـناً، إنّ قيامـة يسـوع تُظهـر غلبتـه عـلى المـوت. ونحـن كمسـيحيّين نحـزن عـلى المـوت ولكـن يبقـى لدينـا رجـاء، رجـاء بالحيـاة الأبديّـة. أنـت تعلـم يـا بريـت أنَّ صداقـة قريبـة كانـت تجمعـني بجمـال، أليـس كذلـك؟ أظنُّـه كان أفضـل صديـق لي بـين الرّجـال في حيـاتي. كنـتُ أهتـمّ لأمـره كثـيراً، وخـلال الشـهرين الأوّلـين بعـد وفاتـه لـم أتمكّن

حـتّى مـن التركـيز عـلى دروسي. ولـو لـم يعطـني اثنـان مـن أسـاتذتي تمديـداً لكنـتُ الآن متأخّـرةً بفصـل كامـل. لكـن حـين بـدأ يخـفُّ الألـم الحـادّ بافتقـاده الملمـوس في حـاضري اليوميّ، تشـجّعتُ بحقيقـة أنّي سـأراه مـن جديـد لأنّ يسـوع غلـب المـوت. يوجـد حيـاة بعـد المـوت ويسـوع قـد أثبـت ذلـك بقيامتـه وتكلّـم عنهـا خـلال وجـوده عـلى الأرض. يـا جيسـيكا وأندريـا، مـع أنّكمـا تعرّضتمـا أنتمـا أيضـاً لخسـارة في حادثـة إطـلاق النـار، هـل توافقـان عـلى أنّكمـا تتحلّيـان بالرجـاء؟»

قالـت جيسـيكا بعينـين دامعتـين: «أجـل، كنـتُ قـد صلّيـتُ بشـأن الـزواج بنيـك وعندمـا بدأنـا بالتواعـد مـن جديـد، إعتقـدت بجـدّ أنّـه الشـخص المناسـب لي. أنـا لا زلـت لـم أتخطّـى خسـارته بالكامـل بعـد، لكـنّ قيامـة يسـوع تحفّـزني عـلى الخـروج مـن سريـري كلّ صبـاح لأعيـشَ حيـاتي عـلى أكمـل وجـه، عـلى الرُّغـم مـن الحـزن والشـعور بالاكتئـاب أحيانـاً.»

ردَّت لوريـن: «حسـناً، أنـا مـسرورة حقـاً أنَّ هـذا ينا سـبك».

حدَّقت فيها أندريا.

«ماذا؟ أنا أتكلّم بجديّة!»

« أنـتِ تقصديـن بكلامـك أنّ هـذا الأمـر قـد "يُناسـب" جيسـيكا لكنَّـه ليـس حقيقيـاً بموضوعيّـة. أنـتِ تلمّحـين إلى أنّ إيمانهـا خاطـئ.»

ردّت لورين: «أنا آسفة.»

تنحنحت آيمي فاستدار الجميع تجاهها لسماعها.

«حسـناً، أنـا لسـتُ ذكيّـة بقـدر لوريـن أو بريـت، ولكـنّي أريـد أن أعـرف لمـاذا تظـنَنَّ أنّ لديكـنَّ هـذا الرجـاء.»

ابتسـمت جيسـيكا: «السـبب بالنسـبة إليّ هـو أنّ يسـوع إلـهٌ شـخصيّ جـاء كإنسـان حقيقـيٍّ، ويفهـم الألـم والمـوت. عندمـا مـات نيـك، شـعرتُ بـأنّ الحـزن الـذي اجتـاحَ كيـاني فـاق أكـبر حـزن يمكـن أن يشـعر بـه أيّ شـخص آخـر، ولكـنّي أعـرف الآن بـأنّ هـذا لـم يكـن صحيحـاً. الله الآب يعـرف معـنى الخسـارة لأنّـه خـسر ابنـه، ويمكنـه أن يتعاطـف معـي

وقد كان لي «ملجأً وقوّة. عوناً في الضّيقات وُجِد شديداً.»[١٥] إنّ أكثر المزامير شيوعاً يعلن بأنّنا لن نكون لوحدنا خلال الموت «أيضاً إذا سرتُ في وادي ظلِّ الموت لا أخاف شرًّا لأنّك أنت معي. عصاك وعكّازك هما يعزّيانني».»[١٦]

أضافت مينا: «مثل جيسيكا لقد حزنتُ على فقدان جمال ونيك والطلاّب الآخرين عندما قُتلوا قبل ثلاثة أشهر. إنّ إحدى الآيات المفضّلة لديّ لبولس هي من رسالة تسالونيكي الأولى حيث يقول: «لا أريد أن تجهلوا أيّها الإخوة من جهة الرّاقدين، لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاءَ لهم».[١٧] لم يقل بولس إنّ المسيحيّين لا يحزنون، بل إنّ حزننا ليس كالذين لا رجاء لهم في المسيح وفي الحياة بعد الموت.»

١٥. مزمور ٤٦: ١
١٦. مزمور ٢٣: ٤
١٧. تسالونيكي الأولى ٤: ١٣

الفصل السادس

هل يمكنني أن أكون مسيحيّاً من دون الإيمان بالقيامة؟

قالت لورين: «أنا لَدَيَّ سؤال لكم جميعاً. لقد ذكرتُ الأسبوع الماضي أنّي كنتُ منفتحةً لفكرةِ الإيمان بالله، وأنّه يمكنني حتّى أن أرى نفسي مسيحيَّة من دون الإيمان بقيامة يسوع. فأجابت إحداكما، أنتِ يا جيسيكا على ما أظنّ، أنّه لا يُمكنُ للمَرْءِ أن يكونَ مسيحيّاً من دون الإيمان بالقيامة. شَعَرتُ أنَّ في الأمر شيئاً من التعصُّبِ وعبَّرت عن ذلك. ما أرغبُ في معرفتِهِ هو لِمَ لا؟ لماذا لا يمكنني أن أكون مسيحيّةً من دون الإيمان بالقيامة؟»

هـزّ بريـت رأسـه: «أعـرف أنّـكِ أرسـلتِ لنـا رسـالةً إلكترونيَّـةً في هـذا الخصـوص يـا لوريـن، لكـن لـم يكـن لـديّ أيّ وقـت للنّظـر في المسـألة الأسـبوع المـاضي. أنـا آسـف بشـأن ذلـك.»

قـال سـكوت، وهـو طالـبٌ دكتـوراه في التاريـخ: «وجـدتُ كتابـاً عـن الموضـوع. لقـد اكتشـفتُ أيضـاً بعـض الملحديـن الذيـن كتبـوا عـن الأمـر، وقـرأت بحثـاً أجـراه الدكتـور غـيرد لوديمـان. مـع أنّـه ينتقـد المُعجـزات في الإنجيـل، يبـدو أنّـه يعـترف بأهميَّـة القيامـة بالنّسـبة إلى الدّيانـة المسـيحيَّة.»

فتَّـش سـكوت في حقيبـة ظهـره بينمـا تابـع كلامـه: «حسـناً، إليكـم مـا كتـب لوديمـان «قيامـة يسـوع هـي النقطـة المركزيّـة في الديانـة المسـيحيّة... بـدون أيّ شـكّ، كلّ شيء يعتمـد عـلى حـدث قيامـة يسـوع».»[١٨]

نظـرَتْ مينـا إلى سـكوت ولوريـن: «قـد لا نتفِّـق مـع لوديمـان بشـأن مـا إذا تمَّـت القيامـة أم لا، لكنّـه أصـاب

١٨. غـيرد لوديمـان، مـا حصـل حقّـاً ليسـوع: مقاربـة تاريخيـة للقيامـة، ترجمـة جـون بـاودن (لويسـفيل: ويستمينسـتر، مطبعـة جـون نوكـس، ١٩٩٥)، ١.

الهدف بملئه في ما يتعلَّقُ بأهميَّتِها.»

نظرت جيسيكا إلى لورين: «يا لورين، لم يكن السّبب وراءَ ما قلته أنّني متعصِّبَة. قلتُ ما قلته لأنّني بعد أن أصبحتُ مسيحيَّة وبدأتُ بقراءة العهد الجديد، بدا لي أنّ القيامة كانت محطّ تركيز الكنيسة منذ تأسيسها. إنّ سفرَ أعمال الرّسل في العهد الجديد الذي يخبرُنا قصَّةَ بداية الكنيسة المسيحيّة يُبيِّن هذه الفكرة جيّداً. لقد وضعتُ خطاً تحت بعض الآيات التي توضّح ما أعنيه. هل يمكنني أن أريكِ إيّاها؟»

ردّت لورين: «طبعاً، وفي الواقع لقد أحضرتُ كتابي المقدَّس لأتمكَّنَ من التحقّق من بعض المزاعم التي تقدِّمونها.»

فتحت جيسيكا كتابها المقدّس. «في الفصل الأوّل من سفر أعمال الرسل، كان الرسل الأحد عشر يحاولون اتخاذ قرار حول بديلٍ ليهوذا الذي شنق نفسه بعد محاكمة يسوع. وكانت إحدى المعايير من أجل اختيار الرّسول أن

يكـون «شـاهد عيـانٍ عـلى قيامتـه».[١٩] إذا أردتِ أن تتبعـي معي يـا لوريـن، انتقـلي إلى الفصـل التـالي. هنـا يُلقـي بطـرس عظتـه الأولى في يـوم العنـصرة. والكلمـة المفتـاح في خطابـه كانـت مـوتَ يسـوع وقيامتـه. هـل تودّيـن أن تقـرَئِي لنـا مـن أعمـال الرسـل ٢: ٢٣-٢٤؟»

«بالطبـع». وجـدت لوريـن الصفحـة وقـرأت «هـذا أخذتمـوه مسـلّماً بمشـورةِ الله المحتومـة وعلمـه السّـابق، وبأيـدي أثمـة صلبتمـوه وقتلتمـوه. الـذي أقامـه الله ناقضـاً أوجـاع المـوت، إذ لـم يكـن ممكنـاً أن يُمسَـكَ منـه.»[٢٠]

تابعـت جيسـيكا كلامهـا: «ثـمّ في عظـة بطـرس الثانيـة يقـول «وَرَئِيـسُ الْحَيَـاةِ قَتَلْتُمُـوهُ، الَّـذِي أَقَامَـهُ اللهُ مِـنَ الأَمْـوَاتِ، وَنَحْـنُ شُـهُودٌ لِذلِـكَ».»[٢١]

وكذلـك يـا لوريـن، عـلى برنامـج الكتـاب المقـدّس الـذي أملُكـه عـلى الكمبيوتـر، اكتشـفتُ أنّ بولـس يشـير إلى قيامـة

١٩. أعمال الرسل ١: ٢٢
٢٠. أعمال الرسل ٢: ٢٣-٢٤
٢١. أعمال الرسل ٣: ١٥

يسوع ثلاثة وخمسين مرَّةً في رسائِلِه. ومعظم النّصوص التي كتبها تؤكّد على أهميَّة القيامة، والضمان الذي تعطيه لنا، ورجاء قيامتنا الجسديَّة في المستقبل. لقد لاحظتُ مقطعاً يؤكّد فيه بولس على مركزيَّة القيامة في رسالته إلى أهل تسالونيكي.» فَتحَت جيسيكا الصفحة على المقطع وقرأت: «لأنّهم هم يخبرون عنّا، أيّ دخول كان لنا إليكم، وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان، لتعبدوا الله الحيَّ الحقيقيَّ، وتنتظروا ابنه من السماء، الذي أقامه من الأموات، يسوع، الذي ينقذنا من الغضب الآتي.»[٢٢]

«حسناً يا جيسيكا يمكنني أن أفهم نوعاً ما لماذا القيامة هامّة بالنسبة إلى الإيمان المسيحي. وأنا مذهولة بدرجةِ معرفتكِ بكتابكِ المقدّس. ولكن لطالما ظننتُ بأنَّ المسيحيَّة كانت مرتكزةً أكثر على تعاليم يسوع».

بدت أندريا متشوِّقة للردّ على هذا السؤال. «إنَّ تعاليم المسيح هامَّة، ولكن قيامة يسوع مركزيّة في حياة

٢٢. تسالونيكي الأولى ١: ٩-١٠

الكنيسة. لقد أحضرتُ كتاباً عن هذا الموضوع بقلم ن.ت. رايت، وهو عالم لاهوتيّ بريطانيّ وخبير في هذا الموضوع.» فَتَحت أحد الكتب الموجودة على الطاولة أمامها وقرأت منه.

«ما من شكل معروف من أشكال المسيحيَّة الأولى لا يؤكّد في جوهره على أنّه بعد موت يسوع المُشين قد أقامه الله إلى الحياة من جديد، مع أنّ علماء اللاهوت الحازقين قد ابتكروا بعض الأشكال المزيَّفة. فحتَّى في الكتابات من أيَّام بولس الذي كتب أبكرَ السجلاّت الخطيَّة التي في حوزتنا، ليست قيامة يسوع عنصراً وحيداً منفصلاً من عناصر الإيمان بل هي محبوكة في بنية الحياة المسيحيَّة وفكرها.»[٢٣]

وضعَتْ أندريا الكتابَ جانباً وفتحَتْ كتاباً آخر كانت قد وضعت فيه عدّة علامات مرجعيّة: «دعوني أقرأ استنتاجاً آخر موجود في قاموس الكنيسة الرسوليّة.»

٢٣. ن. ت. رايت، تحدّي يسوع (داونرز غروف، إيلينوي: مطبعة إنتيرفارسيتي، ١٩٩٩)، ٢٢٠.

«فمثـلاً يعـترف الدكتـور ف. شـتراوس أقـسى أعـداء الكنيسـة مـن النقّـاد حـول موضـوع القيامـة، أنَّ القيامـة هـي «المحـكّ الرئيـسي للقيـاس، ليـس لحيـاة يسـوع فحسـب، بـل للمسـيحيَّة نفسـها» وهـي «تتغلغـل للأعمـاق في كامل المسيحيّة» و«محوريّة في النظرة العامَّة إلى المسـيحيّة ككلّ» (حيـاة يسـوع الجديـدة، الترجمـة الانكليزيَّـة، مجلّـدان، لنـدن، ١٨٦٥، ٤١، ٣٩٧). فـإن زالـت القيامـة زال مـن المسـيحيّة كلّ مـا هـو هـامّ وجوهـريّ، وإن بقيـت القيامـة بقـي كلّ شيء آخـر. وعـلى مـدى القـرون الطويلـة، مـن أيّـام سلسـوس فصاعـداً، ظلَّـت القيامـة هـي محـور الهجـوم عـلى الإيمـان المسـيحيّ.»[٢٤]

تكلّـم بريت: «جيسـيكا على مـا أظنّ قد ذكرت في وقت سـابق أنّ المسـيح تنبّـأ بموتـه. إنَّـه مـن المُحـرج بالنّسـبة إلى التلاميـذ والمسـيحيّة أنّهـم لـم يفهمـوا كلامـه، أليـس كذلـك؟ أيـن تـردُ تحديـداً في الكتـاب المقـدّس تنبُّـؤات يسـوع بموتـه؟ هـل يمكـن لأحـد أن يريَـني تلـك الآيات؟»

٢٤. جيمـس هاسـتينغز، قامـوس الكنيسـة الرسـولية، المجلـد الثـاني (إدنـبره: تي. أنـد تي. كلارك، ١٩١٨)، ٣٣٠.

ردّت مينا بسرعة: «أوّلاً ومن وجهة نظر تاريخيَّة، يبدو أنَّ التفاصيل المحرجة لأخطاء الرّسل تشير إلى صدق ما حصل فعليّاً. فلو أراد الرّسل اختراع قصص عن أنفسهم، لكان من غير المحتمل أن يذكروا كلَّ تلك الكميَّة من الوقائِع المحرجة عن أنفسهم. أنا أعني أنَّ يسوع قال لهم المرَّة تلو الأخرى إنّه سيموت ويقوم من بين الأموات ولم يفهموا الأمر مع ذلك كلّه، هذا محرج للغاية! لكن قراءة تلك التفاصيل من وجهة نظر تاريخيّة تضيف من مصداقيّة النصّ.»

ارتشفت مينا رشفةً من فنجان لاتيه الڤانيليا وأكملت كلامها: «لأنَّه لو كان الكاتبُ يخترع قصّة، فمن المرجَّح أن يبالغ في الأمور الإيجابيَّة ويتفادى ذكر التفاصيل المحرجة. كان أولئك الرّجال اليهود قد تعلّموا في ثقافتهم بأنَّ المسيّا المنتظر سيكون قائداً دينيّاً، وفي المقابل اعتُبر الصّليب أكثر طريقة إعدام مهينة على الإطلاق. لذا فإنَّ فكرة أن يموت مخلّصهم السياسيّ على الصليب لم تكن احتمالاً ممكناً. لو تمهلونني لحظةً، سأبحث على جهازي الكمبيوتر عن المراجع التي يتنبأ فيها المسيح عن قيامته.»

قالــت أندريــا: «بينمــا تبحثــين عــن المراجــع، أودّ أن أشــاركَكم بمقطــع واحــد إضــافيّ يظهــرُ أهميَّــةَ القيامة بالنســبة إلى التلاميــذ. وقــد كتبــه الدكتــور ويليــام لايــن كريــغ.»

«مــن الصعــب المبالغــة في التأثــير المدمِّــر الــذي كان للصَّلــب عــلى التلاميــذ. لــم يكــن لديهــم أدنى تصــوّر عــن إمكانيَّــة مــوت المســيح فكــم بالحــريّ عــن قيامتــه مــن المــوت، لأنَّ المســيح ســيحكم إلى الأبــد (راجــع يوحنــا ١٢: ٣٤). ومــن دون إيمــان مســبق بالقيامــة، كان مــن المســتحيل الإيمــان بــأنَّ يســوع هــو المســيح عــلى ضــوء موتــه. القيامــة هــي الــتي حوَّلــت الكارثــة إلى انتصــار. لأنّ الله أقــام يســوع مــن بــين الأمــوات، أصبــح ممكنــاً الإعــلان عــن أنّــه المســيح بعــد حصــول كلِّ شيءٍ (أعمــال الرســل ٢: ٣٢، ٣٦). وكمــا هــي الحــال بالنســبة إلى أهميَّــة الصّليــب، فــإنَّ قيامــة يســوع هــي الــتي ســمحت بتفســير موتِــهِ المشــين بتعابــير خلاصيّــة. مــن دون القيامــة، كان مــوت يســوع ســيعني فقــط العــار وحلــول لعنــة الله، ولكــن عــلى ضــوء القيامــة يمكننــا النظــر إليــه كالحــدث الحصــول مــن خلالــه عــلى

الـذي تَمَّـم مغفـرة الخطايـا. مـن دون القيامـة لمـا كان طريـق المسـيحيّة قـد نشـأ يومـاً. وحـتّى لـو كان التلاميـذ قـد اسـتمرّوا بتذكّـر يسـوع كمعلّمهـم الحبيـب، لمـا كان بإمكانهـم الإيمـان بـه عـلى أنّـه المسـيح ولا عـلى أنَّـه إلـه طبعـاً.»[٢٥]

٢٥. ويليـام لايـن كريـغ، «هـل قـام يسـوع مـن بـين الأمـوات؟»، كمـا اقتبـس منـه مايـكل ج. ويلكـنز وج. ب. مورلانـد، يسـوع تحـت النـار: العلـم اللاهـوتي الحديـث يعيـد اخـتراع يسـوع التاريخـي (غرانـد رابيـدس: زوندرفـان، ١٩٩٥)، ١٥٩.

الفصل السابع

هل تنبّأَ يسوع بموته وقيامته؟

نظرت لورين إلى بريت: «يا بريت، البعض من هذه الأمور المتعلّقة بالكتاب المقدّس أصبحت مزعجة. ماذا ينفع الإثبات بأنَّ المسيح تنبَّأ بقيامته في العهد الجديد؟»

فكَّر بريت قليلاً قبل أن يتكلّم: «من وجهة نظر تاريخيّة - بحسب الاختبار البليوغرافي بتعبير جمال – يبدو أنّ المستندات الكتابيّة دقيقة. ومع أنّني لا زلتُ مشكّكاً في القيامة، أظنّ أنّه تمَّ إثبات خطئي بشأن تاريخيَّةِ المسيح حين أظهر لي جمال والدّكتور بيترسون أنَّ للعهد الجديد

مخطوطات ونسخ للمخطوطات أكثر من أيّ عمل قديم آخر وهي أبكر زمنياً وأكثر دقَّة. المصادر غير المسيحيّة التي تشير إلى يسوع هي أكثر من تلك التي تشير إلى قيصر. لذا فأنا أرغب في التَّحقيق في مسألة القيامة من وجهة نظر تاريخيّة ومعرفة ما إذا كان التلاميذ قد اخترعوها. كانت مخاوف بيلاطس أنّ يكون التلاميذ قد قاموا بسرقة الجسد وحتّى بعد قراءة الكتاب المقدّس لا أذكر أنّ يسوع قال لتلاميذه المرّة تلو الأخرى إنّه سيقوم من بين الأموات.»

قال سكوت: «أظنّ أنّ بريت على حقّ يا لورين. من خلال عملي في دكتوراه التاريخ عرفتُ أنّه لا يمكننا ببساطة إلغاء المسألة والقول: «آه هذا الكلام موجود في الكتاب المقدّس إذاً لا يمكننا أخذه على محمل الجدّ.» إذا قرَّرنا اعتماد وجهة النظر هذه، فسيكون علينا أن نبدأ في الشَكِّ في كلِّ شيءٍ في التاريخ. أظنّ أنّه علينا بالأحرى أن ندرس النص لنرى ما الذي يردُ فيه.»

ردّت مينا: «هذا هامّ لأنّ يسوع لم يتنبأ بقيامته فحسب،

بـل شـدّد أيضـاً عـلى أنَّ قيامتـه مـن بـين الأمـوات سـتكون «العلامـة» للتأكيـد عـلى ادِّعائـه بأنّـه هـو المسـيح. لـو كان مخطئـاً في ذلـك، لـكان سـيصبح مـن أعظـم الدجّالـين والمخادعـين في التاريـخ. هـا هـي المراجـع الـتي وجدتهـا.»

حوّلـت مينـا أنظارهـا إلى حاسـوبها ناظـرةً إلى المراجـع، مـن ثـمّ أعطتـه إلى بريـت الـذي قـرأ بصـوتٍ عـالٍ:

«مِـنْ ذلِـكَ الْوَقْـتِ ابْتَـدَأَ يَسُـوعُ يُظْهِـرُ لِتَلاَمِيـذِهِ أَنَّـهُ يَنْبَغِـي أَنْ يَذْهَـبَ إِلَى أُورُشَـلِيمَ وَيَتَأَلَّـمَ كَثِـيرًا مِـنَ الشُّـيُوخِ وَرُؤَسَـاءِ الْكَهَنَـةِ وَالْكَتَبَـةِ، وَيُقْتَـلَ، وَفِي الْيَـوْمِ الثَّالِـثِ يَقُـوم.» (مـتى ١٦: ٢١)

«هَـا نَحْـنُ صَاعِـدُونَ إِلَى أُورُشَـلِيمَ، وَابْـنُ الإِنْسَـانِ يُسَـلَّمُ إِلَى رُؤَسَـاءِ الْكَهَنَـةِ وَالْكَتَبَـةِ، فَيَحْكُمُـونَ عَلَيْـهِ بِالْمَـوْتِ، وَيُسَـلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَـمِ لِـكَيْ يَهْـزَأُوا بِـهِ وَيَجْلِـدُوهُ وَيَصْلِبُـوهُ، وَفِي الْيَـوْمِ الثَّالِـثِ يَقُـوم.» (مـتى ٢٠: ١٨-١٩)

«فَفِيمَـا هُـمْ نَازِلُـونَ مِـنَ الْجَبَـلِ، أَوْصَاهُـمْ أَنْ لاَ يُحَدِّثُـوا أَحَـدًا بِمَـا أَبْـصَرُوا، إِلاَّ مَـتَى قَـامَ ابْـنُ الإِنْسَـانِ مِـنَ

الأَمْـوَات فَحَفِظُـوا الْكَلِمَـةَ لأَنْفُسِـهِمْ يَتَسَـاءَلُونَ: «مَـا هُـوَ الْقِيَـامُ مِـنَ الأَمْـوَاتِ؟» (مرقـس ٩: ٩-١٠)

«فَأَجَـابَ الْيَهُـودُ وَقَالُـوا لَـهُ: «أَيَّـةَ آيَـةٍ تُرِينَـا حَـتَّى تَفْعَـلَ هـذَا؟» أَجَـابَ يَسُـوعُ وَقَـالَ لَهُـمْ: «انْقُضُـوا هـذَا الْهَيْـكَلَ، وَفِي ثَلاَثَـةِ أَيَّـامٍ أُقِيمُـهُ». فَقَـالَ الْيَهُودُ: «فِي سِـتٍّ وَأَرْبَعِـينَ سَـنَةً بُـنِيَ هـذَا الْهَيْـكَلُ، أَفَأَنْـتَ فِي ثَلاَثَـةِ أَيَّـامٍ تُقِيمُـهُ؟» وَأَمَّـا هُـوَ فَـكَانَ يَقُـولُ عَـنْ هَيْـكَلِ جَسَـدِهِ.» (يوحنـا ٢: ١٨-٢٢)

سـألت أندريـا: «إذاً يـا بريـت، هـل تؤمـن بـأنَّ يسـوع مـات؟»

«أجل، أعترف بأنّه مات.»

«ماذا عنكم يا سكوت، ولورين وآيمي؟»

أومـأوا برأسِـهم موافقـين عـلى ذلـك، لكـن علّقـت بعدهـا لوريـن قائلـةً: «لسـت متأكّـدة مـن أنّنـا سـنعرف الحقيقـة يومـاً.»

أومأت أندريا برأسها ثمّ قالت: «يا بريت، أنت تؤمن بأنَّ يسوع مات في التاريخ، لكن هل تؤمن بأنّه قام من بين الأموات؟»

«كلا.»

«ما الذي حصلَ إذًا؟ لماذا كان القبر فارغاً؟»

«لست متأكّداً من ذلك. ربما النّساء القرويّات وصيادي السمك البُسطاء أخطأوا في القبر.»

ردّت أندريا بانفعال «حقّاً؟ هل تظنّ ذلك حقّاً؟ وما الذي تعنيه بالنّساء القرويّات؟ هل تعني أنَّهنّ كنّ جاهلات؟ ما هو الأساس الذي ترتكز عليه في قول ذلك؟ يبدو هذا تعصّباً متحيِّز بالنسبة إليّ. لقد دوَّن مرقس، وهو مصدر قريب من الحدث، بأنَّ القبر كان ملكاً ليوسف من الرّامة الذي كان عضواً معروفاً في مجمع اليهود وقائداً في المجتمع. هل كان هو أيضاً جاهلاً؟ ربّما كان بطرس ويوحنا صيّادي سمك بسيطين لكنّ هذا لا يعني أنّه لم يكن بإمكانهما القراءة أو الكتابة أو التكلُّم

بلغـات متعـدِّدَة. مـا مـن سـببٍ للشـكِّ في ذكائِهم أو حسِّـهم السـليم والافـتراض بأنّهـم كانـوا جميعـاً أشـخاصاً بسـطاءَ اختلـط عليهـم موقـع القـبر. هـذا هـو الـرأي القـرويّ!»

قالت مينا: «يا أندريا...»

قـال بريـت: «لا بـأس. ربّمـا أنـا لا أصـدّق ذلـك حقـاً. ولكنّـني متأكّـد مـن وجـود تفسـير عقـلانيّ. يبـدو أنّ مـا علينـا فعلـه هـو التحقيـق في القيامـة مـن وجهـةِ نظـر تاريخيَّـة، وإذا كانـت الأدلّـة لصالحِهـا فعندهـا مـن المرجَّـح أن أصبـح مسـيحيّاً. غـير أنَّـه مـن خـلال شـهادة التّاريـخ والقانـون، لا أظـنّ أنّـه يمكـن لأيٍّ كان أن يعـرف حقـاً. أنـا عـلى اسـتعداد للبحـث في المسـألة والالتقـاء بكـم مـن جديـد الأسـبوع القـادم لأشـارككم بمـا اكتشـتَفه. هـل أنتـم أيضاً مسـتعدّون للبحـث في هـذه المسـألة؟»

ردّت لوريـن: «أظـنّ ذلـك. لاسـيّما إذا كان المسـيحيّون منفتحـين لقـراءة بعـض المصـادر غـير المسـيحيّة. هـل قرأتـنّ كتـاب داروين «مصـدر الكائنـات» أو كتـاب دوكيـنز «وَهْـم الإلـه»؟»

ردّت أندريا على الفور: «لقد قرأت كلا الكتابين. تذكَّري! لقد كنتُ في نادي الملحدين معكِ السّنة الماضية، هل نسيتي؟»

«وأنتِ يا مينا؟»

«لقد قرأت معظم الكتابين.»

«هل قرأتِهما يا جيسيكا؟»

«لم أقرأ كتاب دوكينز، ولكنّي قرأتُ جزءاً من كتاب داروين في المدرسة الثانويّة.»

لم تتمكّن لورين من مقاومة توجيه انتقادات: «تعرفين عدداً هائلاً من الآيات من الكتاب المقدَّس ولكنَّك لا تبدين مهتمّة في التحقيق في الطرف الآخر.»

أجابت جيسيكا: «الطرف الآخر؟ أنا كنتُ أعيش ملء الطرف الآخر لغاية العام الماضي. لم أصبح مسيحيَّة إلاّ من تسعة أو عشرة أشهر يا لورين. مينا هي الوحيدة المسيحيّة منذ وقت طويل. أظنّ أنّني كنت ملحدة

لمجـرَّد أنّـني لـم أؤمـن بـالله لكنّـني لـم أكـن أُحقِّـق في أيِّ شيءٍ يدفعـني إلى التفكـير. كنـتُ ألهـو فقـط.»

تكلّمـت مينـا: «لا أمانـع أن استكشـف هذيـن الكتابـين، لكنّهمـا في الواقـع يعالجـان موضوعـاً مختلفـاً. وأنـا شـخصيّاً لـديّ أسـئلة عـن التطـوّر الداروينـي مـن وجهـة نظـر علميّـة، في مـا يتعلّـق بترميـز الجينـات والتعقيـد غـير القابـل للاختـزال والنقـص في الأدلّـة في السـجلات الأحفوريّـة. ولكـن مهمـا كان رأيكـم عـن داروين، لا يـزال عليكـم التصـارع مـع تاريخيّـة المسـيح. مـا أعنيـه هـو أنّـه يوجـد بعـض المسـيحيّين الذيـن لا يوافقـون عـلى فكـرة التطـوّر لكـنّ التطـوّر لا يدحـض القيامـة. وإذا ظننتـم أنّـه يفعـل ذلـك، فأنتـم قـد تجاوزتـم التطـوّر إلى فكـرة فلسـفيّة أخـرى وتحـيّز ضـدّ الأمـور الخارقـة للطبيعـة.»

قـال سـكوت: «أنـا لسـتُ أكيـداً أنّي أوافـق عـلى الجـزء المتعلِّـق بالتحـيُّز ضـدَّ الأمـور الخارقـة للطبيعـة، لكـنّي أظـنّ أنّـك عـلى حـقّ في أنّـه علينـا التركـيز عـلى الموضـوع نفسـه والتحقيـق في القيامـة مـن وجهـةِ نظـر تاريخيَّـة.»

ردّت مينا «أنا أقدّر انفتاحك الذهنيّ يا سكوت. عند حصول حدث في التاريخ ووجود عدد كافٍ من الناس الأحياء الذين شهدوه بعينيهم أو شاركوا فيه وانتشار تلك المعلومات، يكون من الممكن التحقُّقِ من صحَّةِ الحدث من خلال الأدلّة الظرفيّة.»

"أنا أوافق معك على ذلك وسأحقِّقُ في هذه المسألة مع بريت وآيمي ولورين. لنلتقي من جديد في خلال بضعة أسابيع.»

الفصل الثامن

اعتبار احتمالات أخرى

بعد حوالي أسبوع، توجّه سكوت إلى المكتبة. كان قد طلب من بريت الإنضمام إليه ولكنَّ بريت بدا منشغلاً بأعماله المتقدّمة في الكيمياء عند وصوله.

قال بريت من مكانه في الجانب المقابل من الطاولة: «أنا آسف، لا يمكنني أن أساعدك يا سكوت ولكن أعلِمني إذا وجدتَ أيَّ شيء مثير للاهتمام.»

ترك سكوت الطاولة لفترة ثمّ عاد مع كومة من الكتب. وبعد خمس وأربعين دقيقة من التفتيش فيها، أخذ سكوت

نفساً عميقاً وقال: «هذا مثير للاهتمام».

سأل بريت «ماذا؟»

«هـذا غـير معقـول. أنـا أقـرأ الآن اقتباسـاً مـن تومـاس أرنولـد الشـهير الـذي كان مديـر مدرسـة «رُغـبي» ومؤلّـف كتـاب تاريـخ رومـا في مجلّداتـه الثلاثـة. لقـد تـمَّ تعيينـه رئيـس قسـم التاريـخ الحديـث في جامعـة أوكسـفورد، وهـو رجـل يعـرف جيّـداً قيمـة الأدلَّـة في تحديـد الوقائـع التاريخيَّة. وقـد قـال»:

«إنّ الأدلّـة عـلى حيـاةِ ربِّنـا وموتـه وقيامتـه تبـدو كافيـة، وقـد أُثبتـت عـلى أنَّهـا كذلـك في غالـب الأحيـان، وهـي صالحـة وفقـاً للقواعـد الشـائِعة للتميـيز بـين الأدلّـة الجيِّـدَة والأدلّـة السـيّئَة. لقـد درس تلـك الأدلَّـةَ عـشرات الآلاف مـن الأشـخاص، كلّ دليـلٍ عـلى حـدةٍ، بالعنايـة نفسـها الـتي يبذلهـا كُلُّ قـاضٍ على وشـك إصـدار حكم في القضيّـة الأكـثر أهميّـة. وقـد فعلـتُ هـذا شـخصيّاً عـدّة مـرّات، ليـس بهـدف إقنـاع الآخريـن بـل لإرضـاء نفـسي. لقـد اعتـدتُ لسـنواتٍ كثـيرة أن أدرس تاريـخ العصـور

الأخـرى، وأن أُحقّـق في أدلّـة الأشـخاص الذيـن كتبـوا عنهـا وأقيّمهـا. وأنـا لستُ عـلى درايـة بـأيّ حقيقـة أخـرى في تاريـخ البشريّـة تـمَّ إثباتهـا بأدلّـة أفضـل أو أكـثر تنوّعـاً واكتمـالاً بحسـب مفهـوم أيّ باحـثٍ عـادلٍ غـيرَ الآيـة العظيمـة الـتي أعطانـا إيّاهـا الله بـأنّ المسـيح قـد مـات وقـام مـن بـين الأمـوات.[٢٦]

قال بريت محلِّلاً: «ربما كان متحيّزاً.»

«حسـناً، ربَّمـا، ولكنّـني أقـدِّرُ أنّـه درس الموضـوع بعنايـة ليـس بهـدف إقنـاع الآخريـن بـل بهـدف إرضـاء نفسـه. أنـا أفكّـر في الالـتزام شـخصيّاً بإجـراء مثـل هـذا البحـث. لقـد قـرأتُ عـدَّة اسـتنتاجات مماثلـة مـن فلاسـفة لامعـين. فإليـك مثـال جـون لـوك، وهـو أحـد أدقّ المفكّريـن في عـصره. لقـد كتـب في اسـتنتاجه الأخـير في كتابـه «ثـاني إثبـات لمصداقيّـة معقوليّـة المسـيحيّة»:

«يوجـد تفاصيـل محـدَّدة في تاريـخ مخلّصنـا تتـلاءم بشـكل

٢٦. توماس أرنولـد، كما اقتبس منه ويلـبر سـميث، قفـوا إذاً: علـم الدفـاع عـن العقيـدة المسـيحيّة (غرانـد رابيـدس: بيكـر بوكـس، ١٩٦٥)، ٤٢٥-٢٦.

دقيـق جـداً مـع شـخص المسـيح المنتظـر. إنَّهـا علامـات لا تحـصى عنـه لدرجـة أنَّ الإيمـان بأنّهـا تخـصّ يسـوع النـاصريّ كان يعـني بالتـالي الإيمـان بأنّـه هـو المسـيح، وأنَّهـا كُتبـت للتعبـير عـن ذلـك. أكثرهـا أهميّـة هـي قيامتـه مـن بـين الأمـوات، الـتي هـي الإثبـات العظيـم الـذي يبرهـن أنّـه هـو المسـيح، ولا عجـب البتَّـة في أن يتـمُّ اعتبـار الأشـخاص المؤمنـين بقيامتـه كأشـخاص مؤمنـين بأنّـه هـو المسـيح، لأنَّ إعـلان قيامتـه كان يعـني إعـلان أنّـه هـو المسـيح.[٢٧]

نظـر بريـت إلى سـكوت مـع ابتسـامة: «ربّمـا لـم يمُـت يسـوع. يؤمـن المسـلمون أنّـه حصـل اسـتبدال وأنَّ شـخصاً آخـر مـات في مكانـه. أو ربَّمـا ظنّـوا أنّـه مـات ولكنّـه في الواقـع بقـيَ عـلى قيـد الحيـاة.»

«توقَّـف يـا بريـت. أنـت تمازحـني، أليـس كذلـك؟ فأنـت سـبق واعتَرفـتَ للوريـن بأنّـكَ تؤمـن أنَّـه مـات.»

٢٧. جـون لـوك، التبريـر الثـاني لمعقوليـة المسـيحية، كمـا اقتبـس منـه ويلـبر سـميث، قفـوا إذاً: علـم الدفـاع عـن العقيـدة المسـيحيّة ٤٢٢-٢٣.

ردَّ بريت ضاحكاً: «نعم لقد اعترفتُ بذلك. أنتَ على حقّ. لكن لا أعرف. يبدو أنَّه يوجد امكانيَّة أن يكون يسوع قد عاش، وأنتَ محقٌّ بأنَّ جمال والدكتور بيترسون قالا لنا قبل أشهر إنَّ حتّى العلماء اللاهوتيّين الأكثر تشكيكاً يؤكّدون على هذه النقطة. لكن لا يزال علينا التحقيق في المسألة. مرقس كان من كاتبي الأناجيل الأوائل على ما أظنّ. ماذا يقول؟»

فتح سكوت كتاباً مقدّساً إلى نهاية إنجيل مرقس. وبعد تصفّح عدّة صفحات بدأ يقرأ لبريت:

«فَبِيلاَطُسُ إِذْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ لِلْجَمْعِ مَا يُرْضِيهِمْ، أَطْلَقَ لَهُمْ بَارَابَاسَ، وَأَسْلَمَ يَسُوعَ، بَعْدَمَا جَلَدَهُ، لِيُصْلَبَ. فَمَضَى بِهِ الْعَسْكَرُ إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ، الَّتِي هِيَ دَارُ الْوِلاَيَةِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الْكَتِيبَةِ. وَأَلْبَسُوهُ أُرْجُوَانًا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ

وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الأُرْجُوانَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ.»[٢٨]

«أتعرف شيئاً يا بريت، ربَّما بصفتي مؤرّخاً لا يجدر بي تصديق كلام الدّكتور بيترسون وجمال عن أنَّ جميع العلماء اللاهوتيِّين يتَّفقون أنّ المسيح قد مات. ربّما هنالك تفسيرات أخرى. أنت محقّ في قولكَ إنَّ المسلمين يؤمنون بحصول استبدال. أنا واثق بأنّه تمَّ صلب الضحيَّة المستهدفة، لكن ربَّما جرى تجميل شيء في القصّة. ومن الناحية التاريخيّة، لماذا يعتقد الناس أنّه تمَّ استخدام طريقة التعذيب هذه على يد الرومان في زمن يسوع؟ سأتحقّق من الأمر على الفور. بالإضافة إلى ذلك، أنا لستُ متأكّداً من «يوسُف من الرّامة» الذي ذكرَتْه مينا. يُفترض بأنّه هو من دبَّر القبر الذي دُفن فيه يسوع.»

«عليك أن تتحقَّقَ من ذلك يا سكوت.»

٢٨. مرقس ١٥: ١٥-٢٠

جلسا للحظات من دون أيِّ كلام. كان بريت يفكّر في أنّه لا ينبغي ترك عبء الأبحاث كلَّه يقع على صديقه، لاسيّما أنّه هو مَن جرَّهُ إلى إجراء ذلك النقاش الدينيّ مع المسيحيّين.

كان سكوت يفكّر في أنَّ عليه إجراء المزيد من الأبحاث من أجل ورقة البحث القادمة في التاريخ الأميركيّ الإسباني. ولكن إذا تمكّن من إيجاد موضوع أكثر إلهاماً ربما سيسمح له أستاذ التاريخ الروماني القديم بتغيير موضوع ورقة البحث التي ينبغي كتابتها للتخرُّج، مع أنَّ موضوع «الصَّلب» يخرج نوعاً ما عن موضوع المادَّة. ولكن حتّى وإن لم يسمح له أستاذه بالتبديل عليه معرفة الحقيقة. ليكون صادقاً من الناحية الفكريّة، سيكون عليه أن يتصارع مع المسيح التاريخيّ. حتّى وإن كان الصّلب أكبر خدعة في التاريخ، عرف سكوت أنّ عليه تحديد ما يؤمن به. ما الذي حصل فعلاً؟ هل تمَّت سرقة الجسد؟ هل أخطأوا بالقبر؟ هل اخترع التلاميذ الأمر؟ هل كانت هلوسات؟ ينبغي التحقُّق من جميع هذه الخيارات.

قطع له بريت تسلسل أفكاره: «أتعلم شيئاً يا سكوت، سأرى إذا كنتُ أستطيع معرفة أي شيء عن صلب المسيح من وجهة نظر عمليّة أو طبيّة. أشكّ في ذلك، ولكن سنرى.»

في الأيّام التي تلت، لم ينم سكوت إلاّ لساعاتٍ قليلة قاضياً وقته في إجراء البحوث بشغف كبير. وفي بحثه، اكتشف وجود إجماع بين العلماء اللاهوتيّين على أنَّ يسوع مات صلباً، وهي طريقة إعدام شائعة عن الرُّومان. قام سكوت بتدوين ملاحظات عن عدّةِ أوصافٍ مزعجة لتلك الممارسة الشنيعة. كَتَبَ الأسقف يوسابيوس من القيصريّة، مؤرّخ الكنيسة في القرن الثالث، عن الجَلد الرّوماني الذي كان يتعرّض له المحكومون بالإعدام واصفاً أنَّه «كان يتمُّ الكشف عن الأوعية الدمويّة للضحيّة... والعضلات والأوتار العصبيّة والأحشاء كانت تُظهَر للعلن».[٢٩] وفقاً للكتب التي بحث سكوت فيها، كان الكثير من ضحايا الجَلد لا ينجون من التعذيب الأوليّ قبل صلبهم.

٢٩. جون ب. ماتينغلي، الصّلب: أصله وتطبيقه على المسيح، أطروحة ماجستير في اللاهوت غير منشورة، ١٩٦١، ٧٣. اقتبس منه جوش ماكدويل، الأدلّة الجديدة التي تتطلّب إصدار حكم (ناشفيل: توماس نيلسون، ١٩٩٩)، ٢١٨.

بينما كان سكوت يبحث في مسألة الدَّفن في قبر يوسف من الرّامة، أراد أن يحصل على وجهة نظر تاريخيّة عن القبور والمدافن. بالنسبة إلى الدَّفن الذي ناله المسيح، سجَّل سكوت ملاحظة ملفتة كتبها و.ج. سبارو-سيمبسون:

«كانت الممارسة الرومانيّة تقضي بترك ضحايا الصَّلب معلّقين على الصليب ليصبحوا فريسة للكواسر والبهائم. ولكن من كان يحلم بعدم وجود استثناءات لتلك القاعدة؟ فإنَّ يوسيفوس فلافيوس (السيرة الذاتية، فصل ٧٥؛ حروب اليهود، جزء ٤، مج. ٢) حثَّ الامبراطور تيطس مرَّةً على إنزال ثلاث مصلوبين عن الصّليب وهم لا يزالون على قيد الحياة. هل يمكن لأحد أن يجادل قائلاً إنَّها معلومة غير تاريخيَّة لأنّ القاعدة نصَّت على خلاف ذلك؟ لا شكَّ في أنّ الممارسة اليهوديّة كانت تقضي بدفن المحكوم عليهم. هكذا نصَّ القانون اليهودي. لكنَّ يوسيفوس يؤكّد لنا أنّه حتّى اليهود أنفسهم خالفوا قانون الدّفن عندهم في بعض الحالات. هو يكتب

في كتابه «حروب اليهود»: «وصلوا إلى درجةٍ من عدم التقوى لغايةِ رمي الجُثثِ من دون دفن، مع أنَّ اليهود اعتادوا بذل الكثير من العناية في دفن الرّجال لدرجة إنزال الذين يُحكم عليهم ويُصلبون لدفنهم قبل مغيب الشمس.»

قد يعتقد البعض أنّه يُمكن للأقارب الحصول على إذن من أجل دفن المحكوم عليه. غير أنَّ أيٌّ من أقارب يسوع قد حصل على إذن لدفن جسده، ولا أيٌّ من التلاميذ الاثني عشر. الرِّجال الثلاث المصلوبين الذين حثّ يوسيفوس السّلطات الامبراطوريّة على إنزالهم من على الصليب لم يكونوا أقرباءٌ له بل مجرّد أصدقاء، «تذكّرهم على أنّهم معارف سابقين.» يمكن تقديم شكوك قويَّة ضدّ صحَّة طلب يوسيفوس وأكثر منها ضدَّ الجواب الايجابي الذي ناله. لكن لا يبدو أنَّ أحداً يشكّ في تلك الحقائق. ويتمّ اقتباسها دائماً كما لو كانت صحيحة. لماذا لا يستطيع يوسف من الرّامة أن يقدِّمَ مثل ذلك الطَّلب إلى بيلاطس؟»[٣٠]

٣٠. و. ج. سبارو-سيمبسون. القيامة والإيمان المسيحي (غراند رابيدس: زوندرفان، ١٩٦٨)، ٢١-٢٢،٦.

الفصل التاسع

أدلّة طبيّة على الصّلب

في أواخـر الأسـبوع التـالي، عـاد كلٌّ مـن سـكوت وبريـت إلى المكتبـة. كان الكتـابُ المقـدَّس الخـاصّ بِسـكوت مفتوحـاً أمامـه، وكان يتحقَّـقُ لـيرى مـا إذا كان بإمكانـه الكشـف عـن وجـود أي تناقضـات بـين مـا يذكـره الكتـاب المقـدّس واكتشـافات العلمـاء اللاهوتيِّـين. كان يقـرأ عـن اكتشـاف هـنري ألفـورد، وهـو عالـم لاهـوتيّ يونـانيّ قـدَّم الملاحظـة التاليـة: «متَّى هـو الوحيـد الـذي يذكـر عـن القـبر أنّـه كان قـبر يوسـف الخـاصّ. يوحنـا يُخـبر أنّـه كان في بسـتانٍ في الموضِـع الـذي

صُلب فيه. الجميع باستثناء مرقس يذكرون أنّ القبر كان جديداً. يوحنا لا يحدِّد أنّ القبر كان ملكاً ليوسف.»[٣١]

نظر سكوت إلى بريت الذي كان يقرأ بعض المقالات الطبيّة وفكَّر «من الأجدر بنا أن نحقِّق في شيء يستحقّ العناء.» من ثمّ تدارك أفكاره «لكن هذا الموضوع يستحقّ العناء. إذا اكتشفتُ أنَّ القيامة لم تتمّ سأودّ أن أكتب كتاباً يوماً ما لأثبت فيه للمسيحيّين الجاهلين والمخدوعين بأنّ هذه أكبر خدعة في التاريخ.»

«أنا لا أصدّق هذا يا سكوت!»

«ماذا؟ لا تصدّق ماذا؟»

«يبدو أنّه يوجد الكثير من الأمور المكتوبة عن موت المسيح من وجهة نظر طبيَّة. في مقالٍ منشور في «صحيفة الرّابطة الطبيّة الأمريكية» تمَّ الاستنتاج أنّ يسوع كان قد مات قبل إنزاله عن الصليب وفقاً لما تكتبه الأناجيل.

٣١. هنري ألفورد، العهد الجديد اليوناني: مع نصّ منقّح نقديّاً: ملخّص لقراءات مختلفة: إشارات هامشيّة إلى استخدام لفظي واصطلاحي: مقدّمات: وتعليق نقدي ودفاعي، المجلّد الأوّل، الطبعة السادسة (كامبريدج: ديتون، بيل أند كو، ١٨٦٨)، ٢٩٨ – ٩٩.

جاء في المقال:

«يشير حجم الأدلّة التاريخيّة والطبيّة بوضوح إلى أنّ يسوع كان ميتاً قبل القيام بطعنه في جنبه وذلك يدعم وجهة النظر التقليديّة التي تشير إلى أنّ الحربة التي طُعن بها بين أضلاعه اليمنى لم تقم باختراق رئته اليمنى فحسب بل اخترقت أيضاً التأمور والقلب وبالتالي ضمِنَت موته. وفقاً لذلك، يتبيَّن أنَّ التفسيرات المبنيّة على افتراض أنَّ يسوع لم يمت على الصليب تتعارض مع المعرفة الطبيَّة الحديثة.»[٣٢]

تابع بريت: «اسمع هذا أيضاً. إنّ الطبيب صامويل هيوغتن الحائز على دكتوراه في الطبّ والاختصاصيّ العظيم في الفيزيولوجيا من جامعة دبلن، يعبِّر عن وجهةِ نظره حول السَّبَب الجسدِيِّ لموت المسيح»:

«عندما طعَنَ الجنديُّ جنب المسيح بحربَته كان المسيح سبق أن مات، ويمكن تفسير تدفُّقُ الدّم والمياه

٣٢. ويليام د. إدواردز، دكتور في الطبّ، وغيرها. «حول الموت الجسدي ليسوع المسيح»، في صحيفة الرابطة الطبية الأمريكية ٢٥٥: ١١. ٢١ مارس ١٩٨٦.

الـذي تـلى ذلـك إمّـا كظاهـرة طبيعيّـة لهـا أسـباب طبيعيّـة أو كمعجـزة. ونـرى أنَّ القدّيـس يوحنـا يعتـبر الأمـر غـير اعتيـاديّ أقلّـه إن لـم يكـن معجـزة، ويَظهـرُ ذلـك مـن التعليقـات الـتي يكتبهـا ومـن طريقـة التشـديد الـتي يُبـيَّن مـن خلالهـا دقّتَـه في روايـة مـا حـدث... إنَّ تدفّـق الـدمّ الغزيـر الـذي يتبعـه تدفّـق ميـاه غزيـرة بعـد الإصابـة بالجـرح... يحصـل لـدى الشّـخص المصلـوب الـذي مـات عـلى الصليـب مـن جـرّاء تمـزُّق في القلـب... وبالتـالي، لا يبقـى أيّ افـتراض محتمـل لتفسـير سـبب الظاهـرة المدوَّنـة إلاّ أنَّـه «المزيـج بـين الصَّلـب وتمـزُّق القلـب.»[٣٣]

«يـا سـكوت، لقـد كنـتُ مـتردّداً في بـادئ الأمـر بشـأن شـهادة الرَّسـول يوحنـا عمَّـا رآه، ولكـن قـد لزمـني الاعـتراف بـأنّ يوحنـا كان يقـدّم مراقبـة صحيحـة للمسـيح وهـو في الجلجثـة. لا بـدَّ أنَّـه كان شـاهد عيـان. اسـمع لمـا كتبـه الدكتـور هيوغـتن هنـا»:

٣٣. صامويـل هيوغـتن، كمـا اقتبـس منـه فريدريـك تشـارلز كـوك، طبعـة التعليقـات عـلى الكتـاب المقـدس (لنـدن: جـون مـوراي، ١٨٧٨)، ٣٤٩ – ٥٠.

«إنَّ أهميّـة هـذا الأمـر في غايـة الوضـوح. إنَّـه يُظهِـرُ أنّ الـسّرد في الفصـل ١٩ مـن إنجيـل القدّيـس يوحنـا يستحيل أن يكـون مـن نسـج الخيـال، وأنّـه لا بـدّ مـن أنَّ شـاهدَ عيـانٍ قـد رأى الوقائِـع الـتي تـمَّ تسـجيلها، وأنَّ شـاهدَ العيـان ذلـك كان مذهـولاً لدرجـة اعتبـاره أنَّ تلـك الظاهـرة معجزيَّـة عـلى مـا يبـدو.»[٣٤]

٣٤. المرجع نفسه.

الفصل العاشر

مدفون مع غنيّ

«ممَّا أقرأه يا سكوت، يبدو أنَّ كتابة ذلك الحدث الطبيّ غير الاعتياديّ ووصفه أمرٌ وحْدَه شاهد العيان يستطيع القيام به. ويبدو من المنطقيّ أن تكون سرديّاتِ إنجيل يوحنا قد كُتبت على يد أقربُ التلاميذ إلى يسوع، ذلك الذي رأى بعينه تدفّق «الدّم والماء». لكنَّا استعطنا القول بعدها إنَّه ربَّما الطيور الجارحة قد التهَمَت جثّة المسيح، لكن بما أنَّ اليهود كانوا معروفون باحترامهم الشديد للجسد الماديَّ وتأمينهم دفناً مناسباً للجثة، أظنُّ أنّه من الناحية

التاريخيَّـة تغلـب أرجحيَّـة أنَّـه تـمّ إنـزال المسـيح عـن الصليـب بعـد موتـه.»

قـال سـكوت: «يمكنـني أن أوافـق عـلى ذلـك. فاسـتناداً إلى كلِّ مـا أقـرأه، يبـدو أنَّ مينـا كانـت عـلى حـقّ وأنّ المسـيح دفـن في قـبر يملكـه عضـوٌ معـروف مـن مجمـع اليهـود يُدعـى يوسـف مـن الرّامـة. بالإضافـة إلى ذلـك، قـرأتُ مقـالات لباحثَـين لاهوتيّـين يقتبسـان نبـوءة واردة في سـفر إشـعياء تقـول إنَّ العبـد البـارّ سـيُدفن مـع غـنيٍّ عنـد موتـه.»

علّـق بريـت قائـلاً: «أجـل، ولكـن كلَّ تلـك النبـوءَات المزعومـة قـد كُتبـت بعـد حصـول الحـدث.»

«كنـتُ أقـول الأمـر نفسـه قبـل بضـع سـنوات، ولكـن لـم يعـد بإمكاننـا اسـتعمال هـذه الحجّـة.»

«لم لا؟»

«لدينا الترجمة السبعينيّة.»

«لدينا ماذا؟»

«الترجمة السبعينيَّة هي العهد القديم الذي تُرجم من اللغة العبريّة إلى اليونانيّة بين القرنين الثاني والثالث ق.م. والغريب أيضاً هو أنَّ الكثير من العلماء اللاهوتيّين الذين درسوا مخطوطات البحر الميت يعترفون بأنّه تمّ شمل نسخة من كامل مخطوطات سفر إشعياء في مخطوطات البحر الميت التي يعود تاريخها إلى حوالي العام ١٠٠ ق.م. وقد كُتب سفر إشعياء نفسه في حوالي العام ٧٠٠ ق.م.».

«قبل المسيح.»

«أجل.»

«حسناً، لنلقِ نظرةً على ذلك يا سكوت. فمعظم النبوءَات تكون شديدة الغرابة والغموض لدرجة أنّه يمكن لأيِّ شخصٍ تفسيرها على طريقته لتعطي المعنى الذي يريدُه.»

قال سكوت ضاحكاً: «أنتَ على حقّ. لا يمكن للمسيحيّين حتّى الاتفاق بين أنفسهم على النبوءَة. كلّها

تتكلّـم عـن النعـاج والآنيـة والتنانـين. ربّمـا هـي ليسـت نبـوءَات حقيقيَّـة حـتّى.»

لكـن مـا لـم يعـترف بـه سـكوت لبريـت هـو أنَّ البعـض مـن النبـوءات بـدت في الواقـع أنّهـا تتحـدّث عـن المسـيح. فمثـلاً، كان قـد قـرأ اسـتنتاجاً عـن إشـعياء بقلـم الدكتـور مايـكل ل. بـراون الـذي ترعـرع في عائلـة يهوديّـة وآمَـنَ بيسـوع في وقـت لاحـق. حقَّـقَ الدّكتـور بـراون كطالـبٍ في النبـوءات العبريّـة، وقـاده ذلـك نحـو حيـازة شـهادة الدّكتـوراه في لغاتِ الـشّرق الأدنى وآدابـه مـن جامعـة نيويـورك. لـم يكـن سـكوت يريـد حـتّى ذكـر اسـم ذلـك الرّجـل أمـام بريـت.

تمَّت مقاطعة حديثهما فجأةً.

«مرحباً يا بريت»، قال صوتٌ مألوفٌ من الخلف.

«دكتـور بيترسـون! يـا لهـا مـن مفاجـأة أن نـراك هنـا!» لـم يسـتطع بريـت تصديـق أنّ الأسـتاذ الجامعـيّ الرائـد في التعليـم الدّيـني والمشـكِّك المشـهور سـابقاً قـد دخـل تحديـداً في وقـت إجرائِهمـا هـذه المحادثـة.»

« كيف حال دراستك يا بريت؟ وما هذا؟ هل يدرس طالب الطبّ ليصبح عالماً لاهوتيّاً؟ أمامك مجموعة مثيرة للإعجاب من الأعمال اللاهوتيَّة المختلطة مع صُحُفِك العلميّة. هل تفكِّر في اختصاص دراسيّ جديد؟» كان الدكتور بيترسون يضحك.

«أجل، أعني كلا، أنا فقط أبحث في بعض الأمور خلال وقت فراغي. يجب علينا أن نلتقي. لقد تعلّمتُ الكثير من أفكارك العميقة، وما زلتُ أبحث عن أجوبة عن الكثير من الأسئلة المزعجة. آه وبالمناسبة، هذا صديقي سكوت. هو يكتب أطروحة دكتوراه في التاريخ.»

«يسرّني الالتقاء بك يا سكوت. ويا بريت، لا تتردّد في قصد مكتبي في أيّ يوم بعد الساعة الثانية بعد الظهر إذا كان بإمكاني مساعدتك في أيّ شيء. وفي الواقع، يوم الخميس هذا نُحضِّر أنا وزوجتي لاستضافة بعض الطلاّب إلى حفلة شواء. سنفرح بحضوركما أنتما الاثنين أيضاً. أظنّ أنّكَ تعرف البعض من الطلاّب الآخرين يا بريت. جيسيكا فريسين وصديقتاها مينا وأندريا سيكنَّ

موجوداتٍ. أنت صديق لهنّ، أليس كذلك؟»

«آه أجـل، أجـل. مـا زلنـا نمـضي أوقاتـاً معهـنّ. نحـن في الواقـع نلتقـي لإجـراء محادثـات لاهوتيّـة كلّ أسـبوعين. سـيسرّني أن آتي.»

«نحـن نتطلّـع لرؤيتـك يـا بريـت. وسـنُسرُّ بانضمامِـك إلينـا أنـت أيضـاً يـا سـكوت.»

«شـكراً لـك يـا دكتـور بيترسـون. سـيسُرُّني الانضمـام إليكـم جميعـاً.»

«جيّـد جـداً. تعـالا إذاً وأحـضرا أصدقاءَكما إذا رغبتما في ذلـك. سـيكون لدينـا الكثـير مـن المأكـولات. سـأقوم بشـواءِ الدّجـاج وبعـض الأضـلاع!»

«يـا دكتـور بيترسـون، بمـا أنّـك هنـا، هـل يمكنـني أن أطـرحَ عليـك سـؤالاً عـن شيءٍ كنّـا نتناقـشُ فيـه؟»

الفصل الحادي عشر

نبـوءة تـمّ اكتشـافها فـي مخطوطـات البحـر الميـت

ردّ الدكتـور بيترسـون: «بالطبـع يمكنـك أن تسـأل وسـأحاول مـا في وسـعي للإجابـة عـلى سـؤالكَ.»

قـال بريـت: «شـكراً لـك. مـاذا تعـرف عـن مخطوطـات البحـر الميـت؟»

«حسناً، لقد درستها. ماذا تريد أن تعرفَ بالضّبط؟»

ردَّ بريـت: «في الواقـع، أنـا لا أعـرف الكثـير عنهـا لكـنّ سـكوت ذكـر للتـوِّ شـيئاً عـن الترجمـة السـبعينيّة.»

«هـل تمانعـان لـو جلسـتُ؟» بـدا أنَّ الدكتـور بيترسـون كان يسـتعدُّ لجـواب ليـس بقصـير.

«لا، على الإطلاق، اجلس معنا من فضلك.»

أزال الدكتـور بيترسـون قبّعتـه وجلـس. ثـمّ نظـر مـن حولـه ليحـرص عـلى ألاّ تكـون محادثتهـم تزعـج أيّـاً مـن الأشـخاص المجاوريـن.

«في ربيـع العـام ١٩٤٧، كان صـبيّ مـن الرُّعـاة البـدو يرعـى خرفانَـه عـلى بعـد كيلومـتر ونصـف غـرب الجانـب الشَّـماليّ مـن البحـر الميـت، عـلى بعـد مـا يقـارب أحـد عـشر كيلومـتراً جنـوب أريحـا. بعـد أن رمـى حصـاةً عـلى عـنزة شـاردة سـمع صـوت فخّـار يتكـسّر. في البدايـة ارتعـب وتسـاءَل مـا إذا كان سـمع روحـاً شرّيـرة. ولكـن في اليـوم التـالي، عـاد مـع أقربائـه ودخـل كهفـاً لـم يمسّـه أحـد منـذ أجيـال. فاكتشـفوا جـراراً مملـوءة بمـا بـدا أنَّـه جلـد. فكّـر الراعـي الصّغـير في أنّـه يمكنه ربّمـا أن يجـني بعـض المـال مـن بيـع الجلـد لاسـتعماله كأحذيـةٍ، فأخـذ اكتشـافه الجديـد إلى بائـع أحذيـة صـدف بأنَّـه

بأنَّه يعمل تاجراً للتحف القديمة كعمل إضافيّ. وبعد أن تمعّن هذا التاجر بالجلد، أدرك وجود أربع مخطوطات داخل الغلاف الجلديِّ الواقي فاشترى المخطوطات. ثمّ قام التاجر ببيع المخطوطات إلى رئيس أساقفة أرثوذكسي لقاءَ مبلغ مئتين وخمسين دولار تقريباً. وبعد أن تنقّلت المخطوطات بين بضعة مالكين إضافيّين، تمَّ شراؤها في نهاية المطاف لقاءَ ٢٥٠,٠٠٠ دولار وهي الآن تُعتبر من أفضلِ الاكتشافاتِ الأثريَّة على الإطلاق.»

سأل سكوت: «ولِمَ هذا؟»

«هذا سؤال جيّد! أوّلاً، تَعلَّمنا الكثير عن الطائفة اليهوديّة القديمة التي تُعرف بالأسينيّين. كما تمَّ أيضاً اكتشاف مخطوطة تُدعى «مخطوطة المعبد» وهي تكشف تفاصيل مثيرة للاهتمام عن بناء هيكل أورشليم. لكن للإجابة على سؤالك، فلا شكّ في أنَّ أعظم اكتشاف في هذه المجموعة القديمة كان نسخة من مخطوطة إشعياء الكاملة.»

أسرع بريت بالنظر إلى سكوت على اعتبار أنّهما كانا يتكلّمان للتوّ عن الأمر. لكنَّ سكوت قال ببساطة، «إشعياء؟»

ردَّ الدّكتور بيترسون، «نعم إشعياء! إحدى مخطوطات البحر الميت هذه تحوي نسخةً من كامل سفر إشعياء، الأسفار الستَّة والستّين بكاملها التي يعود تاريخها إلى العام ١٠٠ ق.م. يبلغ طول هذه المخطوطة حوالى سبعة أمتار ونصف وهي أقدم مخطوطة كتابيّة تمّ اكتشافها على الإطلاق. وهي الآن محميّة في زجاج خاصّ في أورشليم القدس، وتتوفّر صور عالية الدقّة على صفحات الانترنت ليدرسها الجمهور. في هذه النسخة القديمة من سفر إشعياء يوجد نبوءة أقنعَتِ الكثيرين من اليهود لكي يؤمنوا بـ «يِشوّع».

سأل بريت «يِشوّع؟»

«نعم، إنّه الاسم العبريّ ليسوع. هل قرأتما إشعياء ٥٣؟»

ردّ بريت أوّلاً: «لا، فقط بعض الاقتباسات منه.»

«سكوت؟»

«نعم، قرأته مرّة.»

«حسناً، ما رأيك؟»

«ممـم.. لسـتُ واثقـاً مـن ذلـك». كان سـكوت قـد عـرف أنّـه تـورّط في موقـف صعـب ولـم يكـن عـلى اسـتعداد للجـدال في المسـألة مـع الدكتـور بيترسـون.

«لسـتَ واثقـاً؟ إذاً عندمـا تسـنح لكمـا الفرصـة بذلـك، اقـرَآ إشـعياء ٥٣ بنفسـيكما. لـن يسـتغرق ذلـك إلاّ بضـع دقائـق مـن وقتكمـا ويوجـد عـدّة أمـور عليكمـا ملاحظتهـا خـلال القـراءة. يـؤرِّخُ العلمـاءُ التاريخيُّـون الكتابـة الأصليّـة في حـوالى العـام ٧٠٠ ق.م.، قبـل مئـةِ سـنةٍ عـلى الأقـلّ مـن البـدء باعتمـاد طريقـة المـوت بالصَّلـب عـلى صليـب. لكـنّ النـصَّ يتكلّـم عـن رجـل أوجـاع حمـل آثـام الكثيريـن، مجـروح لأجـل معاصينـا ومسـحوق لأجـل آثامنـا. أنـا أعتقـد شـخصيّاً أنّـه أحـد أكـثر الفصـول أهميَّـة في الكتـاب المقـدّس كلّـه، وهـو يقـدّم أفضـل وصـف نبـويٍّ يمكـن إيجـاده عـن

يسـوع المسـيح. هـو يسـتحِقُّ أن تقـرَآه وتدرُسَـاه بـكلِّ تأكيـد.»

تجنَّـبَ سـكوت خـلال لحظـات لقـاء عينـاه بعيـنيّ الدكتـور بيترسـون، عالمـاً أنَّ العلمـاءَ اللاهوتيِّـين الآخريـن أكّـدوا عـلى مـا كان يقولـه.

وضـع الدكتـور بيترسـون قبّعتـه عـلى رأسـه ووقـف اسـتعداداً للمغـادرة: «حسـناً، لقـد قاطعـتُ دراسـتكما بمـا فيـه الكفايـة. لقـد سُررتُ جـداً برؤيتـك يـا بريـت وكان الالتقـاء بـك مدعـاةَ سرورٍ لي يـا سـكوت. أتطلّـع شـوقاً إلى متابعـة حديثنـا! هـل سـأراكما أنتمـا الاثنـين يـوم الخميـس؟»

أومآ برأسيهما ايجاباً.

«هذا جيّد. أحضرا معكما بعض الأصدقاء.»

قـال بريـت: «شـكراً لـك يـا دكتـور بيترسـون. سـنكون هنـاك. وسـأدعو اثنـين مـن أصدقائنـا مـن نـادي الملحديـن، لوريـن وآيمـي. مينـا وجيسـيكا تعرفانهمـا. ذكـرت لوريـن أنّهـا أرادت الالتقـاء بـك في وقـت مـا لتطـرح عليـك بضعـة الأسـئلة. هـل لديـك مانـع؟»

«طبعـاً لا! هـل مـن طريقـةٍ أفضـل لقضـاء أمسـية جيِّـدة؟»

عندما غـادر الدكتـور بيترسـون، نظـر سـكوت إلى بريـت وقـال: «يـا لهـا مـن صدفـة!»

ردّ بريت: «نحن في الواقع بالقرب من الكتب الدينيّة.»

«لا! نحـن محاطـون بالكتـب الدينيّـة. وهـو أتى عـلى ذكـر الفصـل نفسـه الـذي كنّـا عـلى وشـك مناقشـته، إشـعياء ٥٣!»

«لا تبـدأ الآن بالتكلّـم بروحانيّـة معـي يـا سـكوت. أنـا مـن أتيـتُ عـلى ذكـر الموضـوع حـين سـألته مـاذا يعـرف عـن مخطوطـات البحـر الميـت. وإذا كنـتَ لـم تسـمع يومـاً بهـذه النبـوءة فأنـت لـم تقـضِ أيّ وقـت مـع مسـيحيّين يؤمنـون بالكتـاب المقـدّس.»

قـال سـكوت: «أنـا لا أتكلّـم بروحانيّـة. أنـت هـو مـن عـلى وشـك أن يصبـح مسـيحياً!»

قال بريت: «لا يهمّ. ستذهب إلى حفلةِ الشِّواء حقّاً؟»

«أجـل سـأذهب. سـيكون مـن الممتـع طـرحَ بعـض الأسئلة عـلى الدكتـور بيترسـون فهو شـديد الـذَّكاء ومتواضع. وفضـلاً عـن ذلـك، إنَّـه رجـل يعـرفُ جيّـداً كيـفَ يشـوي!»

«حسـناً، قبـل أن نغـادر، دَعنـا نلقـي نظـرةً عـلى ذلـك الفصـل، إشـعياء ٥٣.»

فتـح سـكوت كتابـاً مقدَّسـاً عـلى الانترنـت عـلى فصـل إشـعياء ٥٣. «ليـس طويـلاً جـداً. سـأقرأه لـك.»

قال بريت «تفضّل.»

نبت قدّامَهُ كفرخٍ
وكعرقٍ من أرضٍ يابسة.
لا صورَة له ولا جمالَ فننظُرَ إليهِ،
ولا منظرَ فنشتهيه.

مُحتقرٌ ومخذولٌ من الناس،
رجلَ أوجاعٍ ومختبِرٌ الحَزَنِ،
وكمُسَتَّر عنه وجوهنا،
محتقرٌ فلم نعتدَّ به.

لكنّ أحزاننا حمَلَها،
وأوجاعنا تحَمَّلها.
ونحن حسبناه مُصاباً مَضروباً من اللهِ ومذلولاً.

وهو مجروحٌ لأجل معاصينا،
مسحوقٌ لأجل آثامنا.
تأديبُ سلامنا عليه
وبحُبُرِه شُفينا.

كُلّنا كغنمٍ ضللنا.
مِلْنا كلّ واحدٍ إلى طريقِهِ،
والربُّ وضعَ عليه
إثمَ جميعنا.

ظُلِمَ أمّا هو فتذلَّلَ
ولم يفتح فاه.
كشاةٍ تُساق إلى الذَّبح،
وكنعجةٍ صامتةٍ أمام جازّيها
فلم يفتح فاه.

من الضُّغطَةِ ومن الدَّينونة أُخِذَ.
وفي جيله مَنْ كان يظنُّ
أنّه قُطِعَ من أرض الأحياءِ،
أنّه ضُرب من أجل ذنب شعبي؟

وجُعِل معَ الأشرار قبرُهُ
ومع غنِيٍّ عند موته.
على أنّهُ لم يَعمَل ظُلْماً،
ولم يكن في فمِهِ غشٌّ.

أمّا الرَّبّ فسُرَّ بأن يَسحقه بالحَزَن.
إنْ جعَل نفسَه ذبيحةَ إثمٍ
يرى نسلاً تطولُ أيّامُهَ،
ومسرّة الربِّ بيده تَنجَحُ.

من تَعَبِ نفسِهِ يرى ويَشبَعُ،
وعبدي البارّ بمعرفته يبرّر كثيرين،
وآثامُهُم هو يحملُها.

لذلك أُقسِمُ له بين الأعزّاء

ومع العُظماء يَقسِمُ غنيمةً،
من أجل أنّهُ سَكَبَ للموتِ نفسه
وأُحصِيَ مع أثمةٍ،
وهو حَمَلَ خطيَّةَ كثيرينَ
وشَفَعَ في المُذنِبين.[٣٥]

نظـر بريـت إلى سـكوت: «أنـا أفهـمَ الآن لمـاذا يقولـون إنَّ هـذا الـكلام هـو عـن يسـوع. فهـو شـبيهٌ بـه قليـلاً. هـل يمكنـك أن تريـني الجـزءَ الـذي يقـول فيـه أنّـه قُطـع مـن أرض الأحيـاء؟»

أدار سكوت الشاشة ليتمكّنا اثناهما من رؤيتها.

قُطِعَ من أرض الأحياءِ،
أنّه ضُرب من أجل ذنب شعبي.

وجُعِل مع الأشرار قبرُهُ
ومع غنيّ عند موته.
على أنّهُ لم يَعمَل ظُلْماً،

٣٥. إشعياء ٥٣: ٢-١٢

ولم يكن في فمه غشٌّ.[٣٦]

تابع بريت: «يبدو أنّه يتكلّم بكلّ تأكيد عن رجلٍ بريء قُتل من أجل أشخاص آخرين. ويبدو حتّى أنّه قُتل مع المجرمين ودُفن في قبر رجل غنيّ. هذه تفاصيل دقيقةٌ جداً، ولكنَّ المسألة لا تتوضَّح. ربّما جاء يسوع المسيح ومات على الصّليب ودُفن في قبر رجلٍ غنِيٍّ لكن من يأبَه بذلك؟ فهذا لا يثبت بعد أنّه قام من بين الأموات. ربّما شعر الرُّسل بالسوء بعد موته وقرَّروا أن يخترعوا قصّةً لإبقاءِ الحلم حيّاً. لا أعرف، ولكنّني لا زلتُ غير مقتنعٍ بقيامته.»

توقّفَ بريت قليلاً ليفكّر: «حسناً، أعترفُ بأنّ يسوع كان شخصاً حقيقيّاً وأنَّه على الأرجح مات على صليب. ولكن لا يمكنني أن أصدّق بأنّه قفز خارجاً من القبر بعد بضعة أيّام ومشى والابتسامة ترتسم على وجهه. الأموات لا يعودون إلى الحياة بلحمٍ ودمٍ من جديد! إذاً... صُلِبَ وأنزلوا جسده لأنّ هذا هو ما فعله اليهود في ذلك

٣٦. إشعياء ٥٣: ٨-٩

الوقـت، ووضعـوه في قـبرٍ يملكـه يوسـف مـن الرّامـة. يـا سكوت، مـاذا تعـرف عمَّا إذا كان القـبر محروساً بعـددٍ كبـيرٍ مـن الحـرّاس مـن ثـمَّ وُجِـدَ فارغـاً فجـأةً؟»

«مـن يعـرف؟ لسـت أعـرف إذا كان بإمكاننـا حقّـاً معرفـة ذلـك، لكنّـني سـأتحقَّقُ مـن الأمـر. أنـتَ مـا رأيـك؟»

«لسـت متأكّـداً. لا مشـكلة عنـدي في القـول إنّـه دُفِـنَ في قـبرٍ. فالدّفـن لا يُثبـت أيَّ شَيءٍ. لكـن إذا كان الرُّسـل قـد اخترعـوا الجـزءَ المتعلِّـقَ بالقيامـة، نكـون قـد انتهينـا وأُقفلـت القضيّـة. لا وجـود للمسـيحيّة. هـل يمكنـك أن تبقـى قليـلاً بعـد؟ أودُّ استكشـاف مسـألة الدفـن والقـبر الفـارغ هـذه قليـلاً بعـد.»

«يمكنـني البقـاء لنصـفِ سـاعةٍ أخـرى، مـن ثـمّ عـليّ التوجّـه إلى صالـة الرياضـة. ألديـك وقـتٌ لذلـك؟»

«بكلّ تأكيد.»

الفصل الثاني عشر

عادات الدّفن عند اليهود

بعد عشرين دقيقة تقريباً، قال سكوت: «استمع لهذا الكلام الذي قاله الدكتور ألفريد إدرشيم. إنَّه مؤرّخ بارز من خلفيّة يهوديّة وقد كتب تفاصيل محدّدة عن عادات الدّفن عند اليهود»:

«لم يكن لدى الأغنياء وحدهم قبورٌ خاصّة بهم، بل الناس الميسورين قليلاً أيضاً، وهي كانت على الأغلب تُشترى وتُجهّز قبل وقت طويل من الحاجة إليها وكان يتمّ صونها وتوارثها كممتلكات

خاصّة وشخصيّة. وكان يتمُّ وضع الأجسادُ في كهوف أو قبور منحوتة في الصّخر بعد أن تطيَّبَ بعطور كثيرةٍ بالآس والصبّار، وفي زمنٍ لاحقٍ بالزّوفا وزيت الورد وماء الورد أيضاً. كان يتمُّ إلباس الجسد وفي وقتٍ لاحق لفَّه، إذا أمكن بالأقمشة التالفة التي وُضعت فيها لفائف الشّريعة في البداية. وكانت «القبور» إمّا منحوتة في الصَخر أو «كهوفاً» طبيعيّة أو خزائن كبيرة لها جدران وفتحات على جوانبها.[٣٧]

قال بريت: «هذا كلام مثير للاهتمام، لكن من أين تقرأه؟»

«إنّه نصّ ذكره ويليام لاين كريغ.»

علَّق بريت: «ويليام لاين كريغ فيلسوف مسيحيّ، إذاً فلا بدَّ أنَّه متحيّز.»

٣٧. كريغ، «هل قام يسوع من بين الأموات؟»، كما اقتبس منه ويلكنز ومورلاند، يسوع تحت النار، ١٤٨-٤٩.

«لماذا تقول هذا؟ قد لا تتّفق معه في إيمانه بالأمور الخارقة للطبيعة، ولكنّه حائز على شهادتي دكتوراه وقد نشر العشرات من المقالات الأكاديميّة. هو رجل محترم جداً يجب أخذ كلامه على محمل الجدّ. وهو بدون أدنى شكٍّ قد أطاح بهيتشنز خلال المناظرة التي أجرياها.»

قال بريت مبتسماً ابتسامةً عريضة: «قد يكون هذا صحيحاً، ولكن أظنّ أنّ هيتشنز كان ثملاً في تلك الأمسية.»

ضحك سكوت: «حسناً، هذا ما يكتبه كريغ عن الحفظ الدقيق لقبور الرّجال اليهود الأتقياء»:

«خلال زمن يسوع، كان هنالك اهتمام استثنائيّ بقبور الشّهداء والرّجال الأتقياء اليهود، وكان يتمُّ رعايتها بدقّةٍ وتكريمها. هذا يقترح أنَّهم كانوا سيحرصون على الاهتمام بقبر يسوع أيضاً. لم يكن لدى التلاميذ أيّ شكّ بوجود أيّ قيامة قبل القيامة الأخيرة في نهاية العالم، وبالتالي، ما كانوا ليسمحوا بأن يكون مكان دفن معلّمهم غير محدَّدٍ. كما أنَّ هذا

الاهتمام الحريص يعطي احتمالاً منطقياً بأن تكون النساء قد بقين لحضور الدّفن وفي نيّتِهنّ بعد ذلك دهنُ جسد يسوع بالطيوب والعطور (لوقا ٢٣: ٥٥-٥٦).[٣٨]

«لن أحاول حتّى مخالفة كريغ الرأي بشأن هذه النقطة. أنا أترك له الفوز هنا. ماذا لديك غير ذلك؟»

«هذا النصّ يعيدنا إلى الدكتور ألفرد إردشيم وهو يتكلّم عن دفن المسيح»:

«قد يكون اقتراب حلول يوم السَّبت والحاجة إلى الاستعجال بسبب ذلك، قد ساهما أو أدَّيَا إلى اقتراح يوسف بوضع جسد يسوع في قبره الخاصّ الجديد المنحوت في الصخر، حيث لم يكن قد وُضع أحد بعد. تمّ إنزال الصليب ووضعه على الأرض وتمَّ سحب المسامير الوحشيّة وفكّ الحبال. ثمَّ قام يوسف مع مُرافقيه، بلفِّ الجسد المقدّس بـ «كتَّان نظيف» وأسرعوا

٣٨. المرجع نفسه.

بحمله إلى القبر المنحوت في الصّخر في بستانٍ قريب. كان يوجد في القبور المنحوتة في الصّخر أو الكهوف (المسمَّات ميارثا) كهذه فتحاتٌ (مسمَّات كوخين) يتمُّ وضع الموتى فيها. سيتذكرون بأنّه عند مدخل «القبر» وداخل «الصّخرة» يوجد «مساحة» تقلُّ عن متر مربَّعٍ يُوضعُ فيها النّعش في العادة، ويجتمعُ فيها حاملو النَّعش للقيام بالشعائر الدينيَّة الأخيرة من أجل الميت.»[٣٩]

لاحظ بريت قائلاً: «إذاً أنت على ثقة بأنَّ النساء والرسل عرفوا مكان القبر الذي دُفن فيه المسيح بالضبط ولم يخترعوه.»

«أجل، أظنُّ أنّه بإمكاننا أن نصدّق كلامهم في هذا الشأن». مدّ سكوت يده وتناول كتاباً آخر كان قد وضع فيه علامة.

«في مناقشة السِّجلات المكتوبة حول دفن يسوع في قبر يوسف من الرّامة، كتب الدكتور ويلبور سميث»:

٣٩. ألفريد إدرشيم، حياة يسوع المسيّا وزمنه، المجلّد الثاني (غراند رابيدس: إيردمانز، ١٩٦٢)، ٦١٧.

«نحن نعرف عن دفن الربّ أكثر ممّا نعرف عن أيّ شخصيّة في التاريخ القديم كلّه. ونحن نعرف عن دفنه أكثر بكثير ممّا نعرف عن دفن أيّ من شخصيات العهد القديم أو أي ملك من بابل، أو فرعون من مصر، أو فيلسوف من اليونان، أو قيصر مظفّر. نحن نعرف من أخذ جسده مِن على الصليب ونعرف بعض الأشياء عن دهن جسده بالطيوب ولفّه والقماش المُستعمل في الدفن، ونعرف القبر الذي وُضع فيه جسده بالتحديد، واسم الرجل الذي كان يملكه، يوسف، من بلدة تُدعى الرامة. ونعرف حتّى أين كان موقع ذلك القبر، في بستان قريب من المكان الذي صُلب فيه خارج أسوار المدينة. لدينا أربعة سجلات مكتوبة عن دفن ربّنا وجميعها تتّفق اتّفاقاً تامّاً وملفتاً: سجِلّ متّى، أحد تلاميذ المسيح وهو كان موجوداً عندما صُلب يسوع. سجِلّ مرقس، الذي يقول البعض إنَّه تمَّت كتابته خلال عشر سنوات من صعود ربّنا، وسجِلّ لوقا، رفيق بولس الرسول ومؤرّخ عظيم، وسجل

يوحنا الذي كان التلميذ الأخير الذي تركَ الصّليب، ومع بطرس أوَّل اثنان من التلاميذ الذين رأوا القبرَ الفارغ يوم الفصح.[٤٠]

هنا أيضاً، إنَّ تصريح سميث هذا لا يُثبتُ القيامة. كلّ هذه الكتابات تُثبت أنّه مات ودُفن. أمّا ما حصل بعد ذلك فنجهله. يمكن أن يكون الرُّسل قد اخترعوا قصّة القيامة وعادوا وسرقوا الجسد أو ربما كانت لديهم رؤية أو هلوسة. كما قُلتُ، الأموات لا يعودون إلى الحياة ببساطة! أتعرف شيئاً؟ سئمتُ من التفكير في كلّ هذه الأمور الآن. لنذهب ونلعب الكرة. المباراة الأولى تبدأ في العادة عند الساعة الخامسة.»

قال سكوت: «يبدو هذا جيّداً. يمكننا أن نتحدَّث عن هذه الأمور أكثر مع الدكتور بيترسون. سأذهب لأستعير البعض من هذه الكتب وآخذَها معي ولنخرج بعدها من هنا.»

٤٠. ويلبور م. سميث، قفوا إذاً: علم الدفاع عن العقيدة المسيحيّة ٣٧٠-٧١.

الفصل الثالث عشر

حفلة شواء مساءَ يوم الخميس

«يا دكتور بيترسون، هذه الأضلاع مدهشة.»

«أنـا مـسرورٌ لأنّهـا أعجَبَتـك يـا سـكوت. أتـودُّ أيّ شيء آخـر؟»

«سـأكون في حاجـة إلى الاسـتحمام بعـد الانتهـاء، ولكـن في الوقـت الحـاليّ، أنـا أخطّـط للغـوص في ذلـك الدجـاج المشـويّ.»

قالـت جيسـيكا وهـي تدخـل مـع لوريـن: «آه لا تفكّـر في الأكل بشراهـةٍ يـا سـكوت!»

«نحـن مـسرورون بمجيئِكمـا يـا جيسـيكا ولوريـن. اعتـبرا نفسَـيكما في منزلكمـا، تفضّـلا.»

قالـت سـوزان بيترسـون لزوجهـا: «يـا بيـل، لـم لا تجلـس وتتكلّـم مـع طلاّبك.»

«حسنًا، سأفعل ذلك. لم لا تنضمّين إلينا؟»

«سـأنضمّ إليكـم بعـد لحظـات. اسـبقني، أنـا بحاجـة إلى انتظـار كعـكات البراونـيز والفطائـر لتجهـز.»

ابتسـمت جيسـيكا وأندريـا بينمـا كان الدكتـور بيترسـون يقبّـل زوجتـه عـلى خدِّهـا.

لـم تسـتغرق المحادثـة وقتـاً طويـلاً لتصبحَ جديَّـة. كان لـدى الكثـير منهـم ذكريـاتٌ عـن نيـك وجمـال في مثـل هـذه الجلسـات. في إحـدى المـرّات بـدأ نيـك يتجـادل مـع جمـال حـول مسـألة تتعلَّـق بكـرة القـدم، فرفـع جمـال نيـك فـوق كتفيـه ورمـاه في بركـة السّـباحة وهـو في كامـل ملابسـه.

تذكَّـرت مينـا أيضـاً قصّـة رواهـا الدكتـور بيترسـون خـلال

رحلتهـم الإنسـانيّة إلى أفريقيـا في الصيـف عـن المـرّة الـتي رفـض فيهـا كلٌّ مـن جمـال وآيمـي وجيسـيكا تنـاول البعـض مـن يخنـة الأرماديللـو الـتي وضعهـا مضيفهـم أمامهـم.

فمـازَح الدكتـور بيترسـون آيمـي وجيسـيكا مبدياً اندهاشـه الكبـير بشـأن فظاظتِهما.

بعـد مـرور خمـس عـشرة دقيقـة تقريبـاً، انضمَّت سـوزان بيترسـون إليهـم وانتقلـت المحادثـة إلى صديقهـم نيك:

«أذكـر المـرّة الأولى الـتي أتى فيهـا نيـك وجيسـيكا إلى هنـا. كان لـدى نيـك الكثـير مـن الأسـئلة عـن موثوقيّـة الكتـاب المقـدّس ولسـوء الحـظّ أخـبرَه بيـل بأنّـه يمكنـه أن يكـون شـخصاً صالحـاً مـن دون الإيمـان بـكلّ القصـص المذكـورة في الكتـاب المقـدّس. فتكلّـم عـن الاختلافـات في المخطوطـات والمقاطـع المتنـازع عليهـا وأدّى ذلـك إلى تـردّي إيمـان نيـك لفـترة. ولكـن نشـكر الله أنَّ نيـك لـم يكتـف بتصديـق كلَّ كلمة قالهـا بيـل ببسـاطة بـل بـدأ يتحقّـق مـن الأمـور بنفسـه، وبفضـل صداقتـه مـع جمـال ومينـا بالأخـص، عـاد نيـك في

نهايـة الأمـر إلى الإيمـان المسـيحيّ بحمـاسٍ وشـغفٍ أكـثر مـن أيِّ شـخص صادفتُـهُ في حيـاتي.»

تكلّـم الدكتـور بيترسـون: «بالتفكـير في المـاضي، أشـعر بالعـار الشّـديد لكـثرة الطـلاّب الذيـن أبعدتُهـم عـن الإيمـان بـأنَّ المسـيح هـو ابـن الله وأنّـه قـام مـن بـين الأمـوات. وبسـبب سَـفَر نيـك مسـافة بعيـدة بالطائـرة لرؤيـتي في جنـازة شـقيقتي في أوريغـون، بـدأتُ أعيـدُ النظـر في حقيقـة القيامـة ووجـود السَّـماء. أذكـر أنّـني رأيتـه في القسـم الخلفـيِّ مـن الكنيسـة المكتظَّـة، وهـذا جعـل عينـيّ تغرورقـان بالدمـوع.»

أضافت سوزان معلِّقةً: «وبيل لا يبكي أبداً.»

«أنـا ببسـاطة لـم أسـتطع أن أصـدّق أنَّ طالبـاً قد يسـافر هـذه المسـافة كلَّهـا مـن تكسـاس إلى أوريغـون مـن أجـل حضـور جنـازة شـقيقة أسـتاذ. إنَّ نيـك وجمـال همـا اللذيـن تحدّيـاني لأعيـد التحقيـق في تاريخيّـة القيامـة.»

نظرت سـوزان بيترسـون إلى مينـا: «يا مينـا، العالم بحاجة إلى المزيد من أمثالكِ. فأنتِ لم تكتفي بعيشِ إيمانَكِ فحسـب

بـل قدَّمـتِ أجوبـةً جيّـدة ومتينـة لنيـك الـذي تمكّـن بعدهـا مـن التأثـير عـلى زوجـي. فثمَّـة الكثـير مـن المسـيحيّين الذيـن يدّعـون بأنّهـم يحبّـون الله مـن كلِّ قلوبهـم، لكنّهم كسـولون مـن الناحيـة الفكريّـة وسـطحيّون في إيمانهـم وخجولـون جـداً ليدافعـوا عمّـا يؤمنـون بـه. هـم لا يقدّمـون أبـداً أسـباباً جيّـدة لمـا يؤمنـون بـه أو لسـبب إيمانهـم. وأنـا أعـرف عـن هـذا الأمـر لأنّي كنـتُ واحـدةً منهـم. يـا مينـا، إنّ طريقـة حبّـك للمسـيح بقلبـكِ وعقلـكِ هـي الـتي تحدّثـني.»

أضافـت جيسـيكا: «نحـن نحـبُّ مينـا، هـي تضـع تحدِّيـاتٍ أمامنـا جميعـاً بمثالهـا.»

أومـأت أندريـا رأسـها للتعبـير عـن موافقتهـا، بينمـا أكملـت جيسـيكا كلامهـا: «لقـد اعتـدت الذهـاب إلى الكنيسـة في نشـأتي، وكنّـا نسـمع مـراراً وتكـراراً بأنّـه علينـا أن نكـون شـغوفين مـن أجـل الله ولكـن بـدا كلّ ذلـك أمـراً عاطفيـاً جداً. إذ في اجتماعـات ليـالي الجمعـة عندمـا لـم أكـن أشـعر بمحبَّـةِ الله، كان إيمـاني يختفـي. لقـد تعلّمـتُ مـن مينـا في هـذه السّـنةالماضية أكـثر ممّـا تعلّمتُ في سـنواتِ حيـاتي مجتمعة.»

ردّت مينا: «كلّكم لطفاء جداً.»

نظـر بريـت إلى لوريـن وسـكوت اللذَيـن كانـا جالسـين معـاً. اسـتطاع أن يلاحـظ عـدم ارتياحهمـا في جـوِّ كلّ هـذه الأحاديـث المسـيحيَّة. لكنَّـه كان يعـرف أنَّ الدّكتـور بيترسـون ليـس غريبـاً عـن المجموعـات المتنوّعـة دينيـاً. كان مـنزل آل بيترسـون يُظهـر جـوَّاً مـن التقبّـل، مـا يجعـل النـاس بمـن فيهـم هـو، يشـعرون بأنَّهـم في وضعيَّـة دفاعيَّـة أدنى مـن العـادة، فقـرَّرَ طـرح سـؤالٍ وتوليـد بعـض التفاعـل الحيـويّ.

«يـا دكتـور بيترسـون، لا أرغـبُ في الظهـور عـلى أنّـني أشـكّك في كلامـكَ، ولكـن يبـدو أنَّ معظـم المسـيحيِّين لا يأتـون للإيمـان إلاّ بعـد حصـول أمـر سيِّء معهـم. مثلمـا حصـل عندمـا توفّيـت شـقيقتُكَ أو ايمـان الآخريـن في حـرم الجامعـة بعـد عمليّـة إطـلاق النـار. أعـرف أنّ الكتـاب المقـدّس قـادر عـلى تعزيـة النـاس المتألّمـين، ولكـن مـاذا لـو كان الشـخص يرغـب في الإيمـان لأنَّ هـذا الأمـر صحيـح، وليـس لمجـرَّد أنّـه يبعـثُ شُـعوراً مـن الإرتيـاح فحَسـب؟ مـا زلـتُ غـير مقتنـع بـكلِّ تلـك الأمـور المتعلّقـة بالقيامـة، ومـن دون ذلـك أنـا لا أرى أيَّ شَيءٍ يجـب الإيمـان بـه.»

الفصل الرابع عشر

إلفيس ومايكل جاكسون

أحـدث سـؤال بريـت خضَّـةً في المحادثـة، فتابـع كلامـه بهـدف تفسـير قصـده بشـكل أفضـل قليـلاً: «نحـن نعـرفُ أنّ التلاميـذ كانـوا رجـالاً متقلِّبين، ولـم يكونـوا دائِمـاً عـلى يقـين بمـا يؤمنـون بـه عـن يسـوع. فظنّـوا أحيانـاً أنّـه المسـيح، لكنّهـم أيضـاً شـكّوا. ربّمـا بعـد أن مـات يسـوع أرادوا أن يبقـوا الحلـمَ حيّـاً، لهـذا فهُـم إمّـا قامـوا باخـتراع القصَّـة أو أرادوا ببسـاطة أن تكـون القصّـة صحيحـةً، فأقنعـوا أنفسـهم بذلـك. الكثـير مـن النـاس يصدّقـون أمـوراً غـير حقيقيَّـة.

أنظـر إلى كلِّ أولئـك المعجبـين بإلفيـس الذيـن ادَّعـوا بأنّهـم رأوه يتمـشَّى في متجـر بقالـة. والآن يقـول البعـض إنَّ مايـكل جاكسـون حـيّ ولكنّـه يختـبئ في مـكانٍ ما. كلّ شـخص مشـهور لديـه أتبـاعٌ غريبـو الأطـوار ذوو مخيِّلاتٍ واسـعة. أظـنّ أنّه إذا أرادَ شـخص ما أن يؤمنَ بشيءٍ ما بشـدَّة، فهو سـيفعل ذلك!»

سـأل الدكتـور بيترسـون بهـدوء: «هـل تعـرف أيّـاً مـن معجبـين إلفيـس أو مايـكل جاكسـون عـلى اسـتعدادٍ للمـوت مـن أجـل مـا يدَّعـون بأنَّهـم رأوه؟»

«لا، ولكنّي متأكّد من أنّهم موجودون في مكانٍ ما.»

«لكنَّـك لا تـرى معجـبي إلفيـس الذيـن يؤمنـون بأنَّـه قـام مـن الأمـوات يؤسّسـون حركـةً مـع الآلاف مـن الأتبـاع المسـتعدين للمـوت مـن أجـل إيمانهـم بقيامتـه! بينمـا بطـرس الرّسـول وقـف في يـوم العنـصرة أمـام جمهـور عـدائيٍّ ومخاصـم وأعلـن بجـرأة عـن قيامـةِ المسـيح. كمـا أنّـه ذكّرهـم بـأنّ يسـوع «قـام بمعجـزات وأعاجيـب وآيـات» في وسـطهم. وقـال لهـم حرفيّـاً: «كمـا أنتـم تعلمـون».

لـو لـم يعتقـد جمهـورُه أنَّ مـا قالـه صحيـح، كانـوا ليدحضـوا مـا قالـه عـلى الفـور. ولكـن ليـس هـذا مـا حصـل. لقـد تـاب ثلاثـة آلاف شـخص وآمنـوا بالمسـيح في ذلـك اليـوم، لأنّهـم عرفـوا أنّ مـا قالـه سـمعان بطـرس كان صَحيحـاً.»

ارتشـف الدكتـور بيترسـون رشـفةً مـن كـوب الليموناضـة وتابـع كلامـه: «يـا بريـت، لقـد دَرَسـتُ كلَّ الاحتمـالات ووجـدتُ أنّ القيامـة هـي التفسـير الأفضـل عـلى ضـوءِ وفـرة الأدلّـة. بعـد القيامـة، استشـهد أحـد عـشر مـن الرُّسـل الاثـني عـشر، وذلـك ليـس فقـط بسـبب شيءٍ آمنـوا فيـه بـل مـن أجـل شيء عرفـوا يقينـاً أنّـه صحيـح. قـد يمـوت النّـاس مـن أجـل كذبـةٍ يظنّونهـا صحيحـةً، ولكنّهـم لـن يموتـوا مـن أجـل كذبـةٍ يعرفـون أنّهـا خاطئـة. في السـنة الماضيـة، عندمـا كنـتُ لا أزال مشـكّكاً وأقـرأ ممّـا كتبـه أبـرز العلمـاء اللاهوتيّـين حـول هـذا الموضـوع، أذكُـرُ أنّـني قـرأت مـن كتابـات الدكتـور بيـتر كريفـت، وهـو أسـتاذ في الفلسـفة في كليّـة بوسـطن. لقـد سـأل: «لمـاذا قـد يكـذب الرُّسـل؟ ... إذا كانـوا قـد كذبـوا فمـا كان دافعهـم وراءَ ذلـك؟ مـا الـذي حصلـوا عليـه بفضـل

ذلـك الأمـر؟ مـا حصلـوا عليـه هـو سـوءِ الفهـم، والرّفـض، والاضطهـاد، والتعذيـب والاستشـهاد. مـن الصّعـب أن تُعـدَّ هـذه قائِمـة جوائـز».[٤١]

«دكتور بيترسون؟»

«أجل يا مينا.»

«مـن فضلـك، هـل يمكنـك أن تـري سـكوت، وبريـت وآيمـي ولوريـن مكتبتـك الخاصّـة الموجـودة هنـا في المـنزل؟ أظـنّ أنّ سـكوت عـلى الأخـص، بسـبب اهتمامـه بالتاريـخ، سيسـتمتع بالاطّـلاع عـلى جميـع نصوصـك اللاتينيّـة والرّومانيّـة.»

«هـذه فكـرة جيّـدة، إذا كان أيٌّ منكـم يرغـب في أن يراهـا اتبعـوني وانتبهـوا إلى خطواتكـم، فمكتبـتي مليئـة بالفـوضى. سـوزان لا تنفـكُّ عـن وعظـي منـذ سـنوات لـكي أصبـح منظّمـاً أكـثر.»

٤١. نورمـان ل. غيزلـر وفرانـك توريـك، لا أمتلـك مـا يكفـي مـن الإيمـان لأكـون ملحـداً (ويتـون: كروسـواي، ٢٠٠٤)، ٢٧٥.

الفصل الخامس عشر

الحرّاس عند القبر

فكّرت لوريـن في نفسـها « مـن المسـتحيل أن يمتلـك أحدهـم مكتبـاً شـخصيّاً بهـذا الحجـم الهائـل. لا عجـب أنّ الدكتـور بيترسـون يجـد دائمـاً شـيئاً ليتكلّـم عنـه!»

وانبهـر سـكوت أيضـاً بمـا رآه، فهـو لـم يـرَ يومـاً مكتبـةً شـخصيّةً تضـمُّ كهـذه المجموعـة المتنوِّعـة مـن النصـوص التاريخيّـة. ألقـى ناظريـه عـلى رفٍّ كامـلٍ يحتـوي عـلى نصـوص باللغـةِ اللاتينيَّـة بمـا فيهـا أعمـال شـيشرون وأعمـال بلينيـوس الأكـبر: التاريـخ الطبيعـي (ناتوراليـس هيسـتوريا)

والهندسة المعماريّة (دي أركيتكتورا). لكنَّ فضوله كان يختمر طوال فترةٍ بعد الظهر فقام بخطوته الأولى: «يا دكتور بيترسون، لديكَ أكبر مكتبةٍ شخصيَّةٍ رأيتها في حياتي. أنا أحسدُك كثيراً. إذا توفّرَتْ هذه الوفرة من الأدلَّة على قيامة المسيح، فلماذا استغرقك الأمرُ طويلاً لهذه الدرجة لكي تؤمنَ؟ يبدو أنّه وكما قال بريت، آمنتَ لأسباب عاطفيّةٍ أكثر منها فكريّة.»

تنهَّد الدكتور بيترسون وأبطأ في الإجابة: «ليس هذا صحيحاً تماماً يا سكوت. ففي الحقيقة أنا لأسباب عاطفيّةٍ لم أؤمن طوال هذا الوقت الطويل. فلم أتمكّن قطّ من الفرار بالكامل من إحساس الذنب العنيد الذي شعرتُ به بسبب اختياري لأسلوب حياةٍ مليء بالخطايا والأنانيّة. على الأرجح كانت إنجازاتي الفكريّة بالنسبة إليّ «إله» حياتي، ومع ذلك بقي السّلام الداخلي بعيداً منّي. فأصبحَت دراساتي في الكتاب المقدّس هي ملاذي. لكن بدأتُ أبحثُ عن أسبابٍ لعدم الإيمان. وبدأتُ أشكّ في أبسط الاختلافات في نصوص أوراق البرديّ. وخلال السنوات الأولى من دراساتي الجامعيّة، أردتُ أن أكسب

احـترام زمـلائي وأسـاتذتي فاندفعـتُ للتأكيـد عـلى التزامـي بالمذهـب الطبيعـيّ في مسـاقاتي العلميّـة. وبعـد سـنوات كأسـتاذٍ يافـعٍ، شـعرتُ بالضغـط لـكي أتفـرّغ هنـا في جامعـة أوبـال ولـم أشـعر أنّـه بإمـكاني فعـل ذلـك إذا ظـنَّ زمـلائي بأنّـني «ذو فكـر محـدود» وهـو مـا يعـني عامّـةً الإيمـان أنّ يسـوع هـو الطريـق الوحيـد للخـلاص. كانـت توجـد أيضـاً أسـباب عاطفيّـة دفعتـني في وقـت تشـكيكي وفي توبـتي وعـودتي إلى الإيمـان. كمـا أشـار بريـت، مـن الواضـح أنَّ العواطـف كانـت عاملاً مؤثّـراً عنـد وفـاة شـقيقتي. ولكـن، لأنّ رجـالاً مثل جمـال ونيـك أحبّـاني بمـا يكفـي ليواجهـاني بشـأن الأساسـات الـتي وضعتهـا لمعتقـداتي، كان عـليّ أن أواجـه الحقائـق الـتي تجاهلتهـا سـابقاً بكامـل إرادتي. لـم يكـن بحـثي الجديـد عـن الحقيقـة سـهلاً، أنـا واثـق مـن أنّـك تعـرف القـول الشـائع «العلـم في الكِـبَر كالنقـش في الحَجَـر». لقـد اسـتغرق الأمـر أشـهراً مـن إعـادة تقييـم افتراضـاتي وتحـيّزي ضـدَّ القيامـة قبـل أن أضـع ثقـتي في المسـيح أخـيراً. وبعـد البحـثِ في الحقيقـة التاريخيّـة للقيامـة، أنـا مقتنـعٌ بـأنّ الله يحبّـني حقـاً، تمامـاً كمـا يحبّـكَ.»

إنتظر سكوت قليلاً ليُظهر احترامه للطابع الشخصيَّ لتعليقات الدكتور بيترسون ثمَّ قال: «لقد ذكرتَ القيامة عدّة مرّات يا دكتور بيترسون. كيف تعرف أنّ التلاميذ لم يسرقوا جسد يسوع؟»

سأل الدكتور بيترسون: «هل تعرف عن الحرَسِ الرّوماني؟»

رَدَّ سكوت «نوعاً ما.»

توجّه الدّكتور بيترسون نحو رَفٍّ عالٍ وتناول قاموساً كبيرَ الحجمِ: «حين يتعلّق الموضوع بالحراسة الرومانية يا سكوت يجب اللجوء لويليام سميث الذي يقدِّم لنا في قاموس العصور اليونانيّة والرّومانيّة القديمة، معلوماتٍ عن عدد الرّجال في الحراسة الرّومانيّة. وفقاً للدّكتور سميث «كانت الحراسة الرومانيَّة تتطلب مجموعة من أربعة في العادة...من هؤلاء الأربعة كان واحد يتولّى دور الخفير دائماً، بينما يتمتّع الآخرون بقدرٍ معيّن من الرّاحة. لكن

طبعاً يبقون في جهوزيَّة لبدء عملهم عند أيِّ إنذار».»[٤٢]

تابع الدكتور بيترسون كلامه: «إنّ متّى الذي كتب لليهود والذي كانَ بالمناسبة شاهدَ عيانٍ على حياة المسيح، سجّلَ هذا وذكر «الحرّاس».»

تناول الدكتور بيترسون كتاباً مقدّساً أسود كبيراً من أحد مكاتبه الأربعة وبدأ يقرأ منه:

وفي الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساءُ الكهنةِ والفرّيسيون إلى بيلاطس قائلين: «يا سيّد قد تذَكّرنا أنّ ذلك المُضلّ قالَ وهو حيٌّ: إنّي بعد ثلاثة أيّام أقوم. فمُرْ بِضَبطِ القبر إلى اليوم الثالث لِئلاّ يأتيَ تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنّه قام من الأموات فتكون الضَّلالة الأخيرة أشرَّ من الأولى!»

فقال لهم بيلاطس: «عندكم حرّاس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون». فمضوا وضبطوا القبر

٤٢. ويليام سميث، قاموس الآثار القديمة اليونانيّة والرومانيّة، نسخة منقَّحة (لندن: جيمس والتون وجون موراي، ١٨٧٠)، ٢٥٠-٥١.

بالحرّاس وختموا الحجر.[٤٣]

«يا سكوت، كان هنالك نقاش حول ما إذا كانت كلمة «الحرّاس» في هذا المقطع تتكلّم عن «شرطة الهيكل» أو الحرَس الرومانيّ. يقول أ. ت. روبرتسون، العالم اللاهوتيّ اليونانيّ الشهير، إنّ جملة «لديكم حرّاس» (باليونانيّ ايشيته كوستوديان) هي فعل أمر وتشير إلى حرس من الجنود الرّومان وليس مجرّد شرطة الهيكل.[٤٤] كما يلاحظ روبرتسون أيضاً أنّ مصطلح «كوستوديا» اللاتينيّ يرد في أوراق البردي من أوكسيرينخوس التي يعود تاريخها إلى العام ٢٢ ب.م.»»[٤٥]

سأل بريت: «هل أنت متأكّد من أنّ بيلاطس كان يتكلّم عن الحرَس الرّوماني؟ أو من الممكن ولو لدرجة بسيطة أن يكون بيلاطس يتكلّم عن حرّاس الهيكل؟»

«بالطبع هذا ممكن، ولكن دعني أفسِّر أيضاً أنَّ حرّاس الهيكل لم يكونوا ضابطاً واحداً فرديّاً بل عدداً من الرِّجال الذين يتمتّعون بانضباط وتدريب عاليين.»

٤٣. متّى ٢٧: ٦٢-٦٦

٤٤. أ. ت. روبرتسون، صور الكلمات في العهد الجديد. ٥ مجلدات. (ناشفيل: مطبعة برودمان، ١٩٣٠). (نيويورك: ر.ر. سميث، إنك.، ١٩٣١)، ٢٣٩.

٤٥. المرجع نفسه.

بـدأ الدكتـور بيترسـون يتصفّـح كتابـاً آخـر مـن عـلى الـرَّف وكان فيـه أيضـاً صـورة منحوتـة لهومـيروس.

«هـل لديـك معرفـة يـا بريـت بالمـؤرّخ اليهـودي ألفـرد إدرشَـيم؟»

نظـر بريـت إلى سـكوت بابتسـامة عريضـة وأومـأ ايجابـاً.

«هـذا جيّـد. يوثّـق ألفـرد إدرشـيم بشـأن هويّـة حـرَّاس الهيـكل مُحـدِّداً أنَّ مجموعـة الحـرّاس كانـت تتألّـف مـن عـشرة مراقبـين.[٤٦] ونحـن نعـرف مـن التـوراة الشـفهيَّة «المِشـناه» أنّ عقابـاً شـديداً كان ينتظـر أيّ مُراقـب في الهيـكل يتـمّ إمسـاكُه وهـو نائـم. دعـوني أقـرأ مـن ترجمـة مطبعـة جامعـة أوكسـفورد للعـام ١٩٣٣.»

«كان ضابـط حـرّاس جبـل الهيـكل يقـوم بجولـة ليكشـف عـلى كلّ مجموعـات المراقبـة ويـضيء مشـاعلاً أمامـه، وإذا لـم يقـف كلّ مُراقـبٍ مـردِّداً «يـا ضابـط جبـل الهيـكل، السَّـلام لـك!» وتبـيَّن أنَّ أحدهـم كان نائمـاً، كان الضابـط يضربـه بعصـاه وكان مـن حقِّـه أن يحـرق

٤٦. ألفريد إدرشيم، الهيكل: خدمته وطقوسه (غراند رابيدس: إيردمانز، ١٩٥٨)، ١٤٧-٤٩.

لـه ثيابـه. وكان يُقـال «مـا هـذه الضجَّـة في باحـة الهيـكل؟» «إنّـه ضجيـجُ لاويٍّ يُـضرَب وتُحـرَق ثيابُـه لأنّـه نـام خـلال مناوبتِـه للحراسـة.»

قـال ر. إليـازر بـن يعقـوب: «وجـدوا شـقيق أمّـي نائمـاً في إحـدى المـرّات فأحرقـوا ثيابـه.»[٤٧]

أغلـق الدكتـور بيترسـون الكتـاب: «مـا نعرفـه بـكلّ تأكيـد هـو أنّ هـذا القـبر كان محروسـاً عـلى الأقَّـل بأربعـة رجـال مدرَّبـين عـلى الانضبـاط، وبرفقتهـم ضبّـاط آخريـن منضبطـين ومدركـين لمهامِهـم وواجباتهـم المحـدّدة.»

٤٧. المشـناه، نسـخة هيربـرت دانـدي (لنـدن: جيفـري كومبيرليـج، مطبعـة أوكسـفورد، ١٩٣٣)، ١. ٢.

الفصل السادس عشر

الجميع تخلّوا عنه وهربوا

قـرّرت لوريـن أن تطـرح سـؤالاً: «سـأوافق عـلى أنّ جسـد يسـوع دُفـن في قـبر قدَّمَـه يوسـف الرّامـي، وأنّ القـبر كان محروسـاً بشـكلٍ شـديد، ولكـنّي مـا زلـتُ لا أؤمـن بالقيامـة. أنـا أعـني أنَّـه أليـس مـن الممكـن أن يكـونَ التلاميـذ قـد اخترعـوا الجِّـزء المتعلّـقَ بالقيامـةِ في وقـتٍ لاحـق؟»

ردَّ الدكتور بيترسـون: «هذا أمرٌ مشكوك فيه.»

فأجابـت لوريـن وقـد بـدا عليهـا الاسـتياء: «لمـاذا هـو مشـكوكٌ فيـه؟»

«أوّلاً، يكتب مرقس أنّه عندما كان يسوع في بستان جثسيماني «تركه الجميعُ وهربوا».[٤٨] لم يكن يتوقَّع التلاميذ القيامة بل كانوا خائفين من السّلطات، حتّى أنَّ يوسف الرّامي كان خائفاً من اليهود. لكنَّ ما رأوه غيَّرَهم بشكلٍ كبير. دعوني أقرأ من كتابات الدكتور ج. ب. مورلاند الحائز على شهادة الدكتوراه من جامعة كارولينا الجنوبيَّة»:

«لم يكن لدى التلاميذ شيءٌ ليربحوه عبرَ كذبهم وتأسيسِهم لديانةٍ جديدةٍ. فهم واجهوا المشقّات والاستهزاء والعدائيَّة والاستشهاد. على ضوءِ هذه الأمور، لما كان بوسعهم قطّ أن يحافظوا على ذلك الدّافع غير المتزعزع لو عرفوا أنّ ما يبشّرون به كان أكذوبةً. لم يكن التلاميذ أغبياءَ، وكان بولس مفكّراً من الصفّ الأوّل يتمتّع برباطة جأشٍ. وقد سنحت لهم فرص عديدة على مرّ ثلاثة أو أربعة عقود من الخدمة ليعيدوا النظر في الكذبة ويتخلّوا عنها.»[٤٩]

٤٨. مرقس ١٤: ٥٠

٤٩. ج. ب. مورلاند، توسيع المدينة العلمانيّة (غراند رابيدس: بيكر بوكس، ١٩٨٧)، ١٦٨.

قالت لورين: «ما الذي حصل خلال حراسة القبر يا دكتور بيترسون؟»

«أتعلمين ماذا سنفعل؟ إليكِ هذا الكتاب المقدّس. اقرَئِي لنا من إنجيل متى ٢٨، بدءاً من الآية الثانية.»

أخذت لورين الكتاب المقدّس من الدكتور بيترسون وقرأت بصوتٍ عالٍ:

وإذا زلزلةٌ عظيمةٌ حدثت لأنَّ ملاكَ الربّ نزل من السّماء وجاءَ ودحرَجَ الحجرَ عن الباب وجلس عليه. وكان منظرُه كالبَرقِ ولباسُه أبيضَ كالثلج. فمن خوفِه ارتعدَ الحرَّاس وصاروا كأموات.[٥٠]

رفعت لورين ناظرَيها إلى الدكتور بيترسون: «هل أتابع القراءة؟» ردّ الدكتور بيترسون: «أجل يا لورين، اقرئي من الآية ١١ إلى الآية ١٥»:

وفيما هما ذاهبتان، إذا قومٌ من الحرّاس جاؤوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكلّ ما كان. فاجتمعوا

٥٠. متّى ٢٨: ٢-٤

مـع الشـيوخ وتشـاوروا وأعطـوا العسـكر فضّـةً كثـيرة قائلـين: «قولـوا إنّ تلاميـذه أتـوا ليـلاً وسرقـوه ونحـن نيـام. وإذا سُـمع ذلـك عنـد الـوالي فنحـن نسـتعطفه ونجعلكـم مطمئنّـين». فأخـذوا الفضّـة وفعلـوا كمـا علّموهـم فشـاع هـذا القول عنـد اليهود إلى هـذا اليوم.[٥١]

تنـاول الدكتـور بيترسـون الكتـاب المقـدّس ووضعـه عـلى مكتبـه: «يـا لوريـن، إنّ معرفـة أنّ هـؤلاء الحـرّاس كانـوا مدرّبـين تدريبـاً عاليـاً يجعـل سرد القصّـة في إنجيـل مـتى ٢٨ مثـيراً للإعجـاب بالفعـل. كان المنظـر الـذي تزامـن مـع قيامـة يسـوع مخيفـاً لدرجـة أنّـه تسـبّب في جعـل الجنـود القاسـين «كأمـوات». دعـوني أقـرأ وصفـاً واحـداً إضافيـاً عـن الحـرَس الرّومـاني»:

لـم يكـن لديهـم أدنى اهتمـام في نـوع المهمَّـة الـتي يتـمُّ تكليفهـم بهـا. كان هدفهـم الوحيـد وواجبهـم أن يطيعـوا بصرامـة ويـؤدوا كامـل واجباتهـم كجنـود للامبراطوريّـة الرومانيّـة الـتي كرّسـوا لهـا ولاءَهـم. كان الختـم الرومـاني الموضـوع عـلى الحجـر

٥١. متّى ٢٨: ١١-١٥٧

أمـام قـبر يوسـف مقدّسـاً بالنسـبة إليهـم أكـثر بكثـير مـن فسـلفة إسرائيـل أو قداسـة عقيدتهـا القديمـة. كانـوا ذوي دمٍ بـارد بمـا فيـه الكفايـة لـكي يلقـوا القرعـات عـلى لباسِـه.[٥٢]

بعـد ذلـك تكلّمـت مينـا قائلـةً: «يـا دكتـور بيترسـون، أذكـر أنّـني قـرأتُ الوصـف المفصَّـل والدقيـق الـذي كتبـه الدكتـور ت. ج. عـن الـدّروع والأسـلحة الـتي كان يلبسـها قائـد المئـة. الصـورة الـتي يعطيهـا هـي فعـلاً صـورة آلـة حربيّـة بشريّـة.»[٥٣]

«أنتِ على حقّ يا مينا.»

لـم تكـن لوريـن متأكّـدة ممّـا أرادت قولـه لكنَّهـا رغبـت في أن تُظهـر للدكتـور بيترسـون أنّهـا كانـت تسـتمع لـه: «مـا تقصـده هـو أنَّـه إذا كان يوجـد حرّاسـاً أمـام القـبر بعـد أن قـام يوسـف مـن مجمـع اليهـود بدفـن يسـوع فيـه، فمـن المسـتبعد أن يكونـوا قـد نامـوا.»

٥٢. ألـبرت رويـر، هـل قـام يسـوع مـن بـين الأمـوات؟ (غرانـد رابيـدس: زوندرفـان، ١٩٦٥)، ٣٣.

٥٣. ت. ج. تاكـر، الحيـاة في العالـم الرّومـاني في زمـن نـيرو والقدِّيـس بولـس (نيويـورك: شركـة ماكميـلان، ١٩١٠)، ٣٤٢-٤٤.

«من المستبعد جدّاً.»

تناول الدكتور بيترسون كتاباً آخر: «يقول لنا الدّكتور ثورتبورن إنَّ الحرس الذين قاموا بتولّي مناوبة الحراسة يومها وُجدوا في حالةٍ يُرثى لها. لأنَّه تمَّت دحرجَت الحجر وتمَّ كسِر الختم، كانوا سيُحالون إلى المحكمة العسكريّة للعقاب. وهو يكتبُ «لم يكن بإمكان الجنود أن يزعموا أنّهم كانوا نياماً، فهم كانوا يعرفون جيداً أنَّ عقوبة النوم خلال المناوبة كانت الموت، وكان يتمّ دائماً تنفيذ تلك العقوبة بصرامة.»[٥٤] ويتابع بالقول «هنا لم يتبقى لدى الجنود أيّ حلّ آخر سوى الوثوق في نفوذِ الكهنة. لأنَّ الجسد (سنفترض إنَّه) قد اختفى، ومهما كان سبب إهمالهم (في الظروف العاديّة) فإنَّ عقوبته الموت».»

٥٤. توماس ثوربورن، روايات القيامة والانتقادات الحديثة (لندن: كيغان، ترينش، تروبنر أند كو.، المحدودة، ١٩١٠)، ١٧٩-٨٢.

الفصل السابع عشر

القبر الفارغ

سأل بريت: «إلى أيّ درجة نحن واثقون يا دكتور بيترسون من أنّ القبر كان فارغاً بعد هذه الزّلزلة؟» لنفترض أنّ التلاميذ اختبروا هلوساتٍ أو أحلاماً عن مخلّصهم القائم من الموت. ألا يمكن أن يكون الجسد بقي موجوداً في القبر؟»

«هل سمعت بالسير نورمان أندرسون الذي كان محامياً وأستاذاً في القانون الشَّرقيِّ في جامعة لندن؟» هزَّ بريت برأسه نفياً بينما سار الدكتور بيترسون

في اتّجاه رَفٍّ آخر وسحبَ كتاباً آخر.

«سكوت؟ أندريا؟ أيّ أحد؟»

ابتسمت مينا: «أنا أعرفه فقط لأنّني سمعتُك تشير إليه من قبل.»

ابتسم الدكتور بيترسون وقام بتعديل نظاراته.

«تلقّى السير نورمان أندرسون تعليمه في كليّة سان لورانس وكلية الثالوث في كامبريدج حيث حاز على المراتب الأولى في الامتحانات الجامعيّة وشهادة الماجستير. وبعد تخرّجه، سافر إلى مصر حيث تعلَّم اللغة العربيّة ونما لديه اهتمام بالقانون الإسلاميّ والعربي. كان له دور فعّال في عدّة مراكز تتعلّق بالشؤون العربيّة وسرعان ما أصبح عقيداً في الجيش ورئيسَ أمناء القسم السياسيّ في مركز القيادة العامّة في الشّرق الأوسط. لقد حاز على وسام ضابطٍ من رتبة الامبراطوريّة البريطانيّة من أجل هذه الخدمات.»

ابتسم الطلاّب الثمانية لبعضهم البعض، بينما كان الدكتور بيترسون يهيم في الكلام وهو يقلب صفحات كتبه.

«بعد أن عاد أندرسون إلى إنكلترا بعد بضعة سنوات، التحق بكليّة الدراسات الشرقيّة والأفريقيّة وأصبح أستاذاً في القانون الشرقيّ، وفي نهاية المطاف احتلّ مركز رئيس القسم لمدّة عشرين سنة. لقد حاز السير أندرسون على وسام فارس في العام ١٩٧٥ كما أنّه سافر إلى الولايات المتّحدة من أجل إلقاء محاضراتٍ في جامعات بما فيها برينستون. عُرض عليه منصب أستاذ متعاقد في جامعة هارفرد لكنَّه رفضَه. توفِّي في منتصف التّسعينات. أتمانعون لو قرأتُ استنتاجَ السير أندرسون عن القبر الفارغ؟»

أجابت أندريا ولورين في الوقت نفسه: «من فضلك إقرأه.»

«سُئِلَ السير أندرسون: «هل لاحظت أنَّ الإشارات إلى القبر الفارغ تَرِدُ كلّها في الأناجيل، والأناجيل قد كُتبت لكي تقدّم إلى المجتمع المسيحيّ الحقائق التي يريدون سماعها؟» ردّ الدكتور أندرسون: «في الكرازة العلنيَّة لغير المؤمنين، وكما هو مسجّل في سفر أعمال الرُّسل، ثمَّة تشديد كبير على حقيقة القيامة من دون وجود أي إشارة

إلى القبر الفارغ. لماذا؟ بالنسبة إليّ يوجد جواب واحد على هذا السؤال: لم تكن هنالك حاجة للجدال بشأن القبر الفارغ. فالجميع، أي الأصدقاء منهم والخصوم، قد عرفوا أنّه كان فارغاً. والأسئلة الوحيدة التي فضلت تستحقّ الجدال كانت: لماذا كان القبر فارغاً وماذا أثبتَ فراغُ القبر».»[٥٥]

تابع الدكتور بيترسون: «كما أنَّ السير أندرسون قال ما يلي عن القبر الفارغ»:

«يقف القبرُ الفارغ كصَخرةٍ حقيقيّة وكعنصر أساسيٍّ في الأدلّة على القيامة. إنَّ تلميح البعض إلى أنّه في الواقع لم يكن فارغاً على الإطلاق يبدو سخيفاً بالنِّسبة إليَّ. فإنَّ التاريخ نفسه يشهد على أنَّ الرُّسل منذ البداية قد جعلوا الكثير من الناس في أورشليم يقبلون للتوبة والإيمان، على الرغم من العدائيّة المنتشرة هناك، من خلال إعلان الخبر السارّ بأنّ المسيح قد قام من القبر. وقد قاموا بكلِّ ذلك على مسافة قصيرة من ذلك القبر.

٥٥. ج. ن. د. أندرسون، «قيامة يسوع المسيح» في المسيحية اليوم (٢٩ مارس ١٩٦٨)، ٤-٩.

كان يمكـن لأيّ مـن سـامعيهم أن يـزورَ القـبر ويرجـع إليهـم مـن جديـد في فـترة بعـد الظهـيرة بـين وقـت الغـداء ومـا كان يعـادل وقـت شـاي العـصر عندنـا. أكان مـن الممكـن إذاً التصـوّرُ أنّ الرّسـل كانـوا لِيحقّقـوا ذلـك النجـاح لـو أنَّ جسـد مـن يعلنـون عنـه أنّـه ربٌّ مُقـامٌ من بـين الأمـوات كان لا يـزال في قـبر يوسـف يتحلَّـل طـوال ذلـك الوقـت؟ هـل كان جمهـور الكهنـة العظيـم وجمـعُ الفرّيسـيّين العنيديـن لِينبَهـروا بالإعـلان عـن القيامـة، لـو كانـت في الواقـع قيامـة غـير موجـودة عـلى الإطـلاق بـل مجـرَّد رسـالة لاسـتمراريَّة روحيَّـة تمّـت صياغتهـا بعبـارات مضلّلـة تُلمِّـح إلى قيامـة حرفيَّـة مـن القـبر؟»[٥٦]

«يتّفـق معظـم العلمـاء اللاهوتيّـين مـع أندرسـون. لقـد قـرأتُ مؤخّـراً ملاحظـة كتبهـا الدكتـور ج. ب. مورلانـد وقـد حفظتهـا هنـا في مـكانٍ مـا...»

كان سـكوت يتمشّى حـول الغرفـة ويقـرأ عناويـن الكتـب ويهـزّ برأسـه.

٥٦. نورمـان أندرسـون، الديانـة المسـيحيّة وديانـات العالـم، نسـخة منقّحـة عـن المسـيحية والأديـان المقارنـة (داونـرز غـروف، إيلينـوي: مطبعـة إنتيرفارسـيتي بريـس، ١٩٨٤)، ٩٥ -٩٦.

«حسناً، ها هي. يكتب ج. ب. مورلاند «بالمختصر المفيد، إنَّ التفسير الأفضل لغياب الذكر الصريح والمباشر للقبر الفارغ في خطابات الرُّسل في سفر الأعمال هو أنَّ حقيقة القبر الفارغ لم تكن محور جدال وبالتالي لم يكن فراغ القبر موضع خلاف. لقد دار الجدال الرّئيسي حول سبب فراغ القبر وليس حول ما إذا كان فارغاً... لذلك لم تكن هنالك حاجة لدى المبشّرين المسيحيّين الأوائل لتعظيم مسألة القبر الفارغ. كان ذلك أمراً معروفاً للجميع، وكان يمكن التحقّق منه بسهولة إذا استلزم الأمر».»[٥٧]

٥٧. مورلاند، توسيع المدينة العلمانيّة، ١٦٨.

الفصل الثامن عشر

أهميّة ظهورات يسوع

قـرَّر بريـت أن يوجَّـه الموضـوع في اتجّـاهٍ آخـر: «لنقـل أنّه يوجـد تفسـير معقـول لسـبب فـراغ القـبر. هـل يمكنـك أن تقـدّم لنـا أدلّـة أخـرى عـلى القيامـة؟»

مـشى الدكتـور بيترسـون إلى المـكان الـذي وقـف فيـه سـكوت واختـار كتابـاً آخـر: «دعـوني أقـرأ لكـم ممّـا كتبـه الدكتـور جـون وارويـك مونتغومـري الـذي أبـدى هـذه الملاحظـة:

«ينبغـي التذكـير بـأنَّ تلاميـذ يسـوع قـد أعلنـوا عـن القيامـة بصفتهـم

شـهود عيـان وفي الزَّمـن الـذي كان فيـه النـاس المتَّصِلـين بالأحـداث لا يزالـون عـلى قيـد الحيـاة. في العـام ٥٦ ب.م. كتـبَ بولـس أنّ أكـثر مـن ٥٠٠ شـخص رأوا يسـوعَ القائـم مـن بـين الأمـوات وأنَّ معظمَهـم كانـوا لا يزالـون عـلى قيـد الحيـاة. هـذا بالإشـارة إلى رسـالة كورنثـوس الأولى ١٥: ٦. القـول إنَّ المسـيحيّين الأوائـل قـد فبركـوا مثـل هـذه الرِّوايـة ثـمّ بـشّروا بهـا بـين أشـخاص كان يمكنهـم دحضُهـا بسـهولة عـبر إبـراز جسـد يسـوع هـو كلامٌ يتخطّـى حـدود مـا يمكـن تصديقـه.»[٥٨]

تكلّـم سـكوت بعـد ذلـك: «من هـم كلّ هؤلاء الأشـخاص الذيـن تقتبـس منهـم؟ لـم أسـمع يومـاً برجـل يُدعـى جـون وارويـك مونتغومري.»

نظـر الدكتـور بيترسـون إلى الحاشـية الداخليّـة وراء غـلاف الكتـاب الخلفـيّ: «يـا سـكوت، مونتغومـري حائـز عـلى عـشر شـهادات بمـا فيهـا إجـازة في الآداب مـع امتيـاز

٥٨. جـون وارويـك مونتغومـري، التاريـخ والمسـيحية (داونـرز غـروف، إيلينـوي: إنتيرفارسـيتي بريـس، ١٩٦٤)، ٧٨.

مـن جامعـة كورنيـل، وشـهادة ماجسـتير البحـوث في القانـون مـن جامعـة إيسـيكس وماجسـتير في القانـون مـن جامعـة كارديـف في ويلـز، ثـمَّ شـهادة دكتـوراه مـن جامعـة شـيكاغو، وشـهادة دكتـوراه مـن جامعـة ستراسـبورغ في فرنسـا ودكتـوراه في القانـون الكنـسيّ مـن جامعـة كارديـف. لديـه خلفيَّـة أكاديميَّـة مبهـرة!»

قـال بريـت: «يبـدو لي أنّ قصـص ظهـورات يسـوع بعـد القيامـة ليسـت متوافقـة في مـا بينهـا. فالبعـض مـن الشّـهادات تتكلّـم عـن النّسـوة والبعـض الآخـر لا. أيٌّ منهـا كانـت ظهـورات يسـوع الحقيقيّـة؟»

بـدون أيّ تأخـير أو تـردُّد سـار الدكتـور بيترسـون باتّجـاه مكتبـهِ الرَّئيـسيّ وتنـاول ملفّـاً ثـلاثيّ الحلقـات وفتـح إلى أحـد الأقسـام: «هـذه البعـض مـن ملاحظـاتي مـن البحـث الـذي أجريتـه شـخصياً حـول هـذا الموضـوع خـلال السـنة الماضيـة. هـذه قائِمَـة جمعتهـا تبـيِّن الظهـورات المتعـدِّدة ليسـوعَ بعـد قيامتـه.» قـام بتسـليم دفـتر الملاحظـات إلى بريـت الـذي ابتـدأ يقـرأ:

- أمام مريم المجدليّة: مرقس ١٦: ٩؛ يوحنا ٢٠: ١٤.
- أمام النّسوة العائدات من القبر: متى ٢٨: ٩-١٠.
- أمام بطرس في وقتٍ لاحق خلال اليوم: لوقا ٢٤: ٣٤؛ كورنثوس الأولى ١٥: ٥.
- أمام تلميذي عمواس: لوقا ٢٤: ١٣-٣٣.
- أمام الرُّسل من دون توما: لوقا ٢٤: ٣٦-٤٣؛ يوحنا ٢٠: ١٩-٢٠.
- أمام الرُّسل بوجود توما: يوحنا ٢٠: ٢٦-٢٩.
- أمام السَّبعَة على بحيرة طبَريَّة: يوحنا ٢١: ١-٢٣.
- أمام جمعٍ من أكثر من ٥٠٠ مؤمن على جبل في الجليل: كورنثوس الأولى ١٥: ٦.
- أمام يعقوب: كورنثوس الأولى ١٥: ٧.
- أمام الأحد عشر: متى ٢٨: ١٦-٢٠؛ لوقا ٢٤: ٣٣-٥٢.
- أمام مجموعةٍ من التلاميذ يوم الصعود: أعمال الرسل ١: ٣-١٢.
- أمام بولس: أعمال الرسل ٩: ٣-٦؛ كورنثوس الأولى ١٥: ٨.

- أمام استفانوس: أعمال الرسل ٧: ٥٥.
- أمام بولس في الهيكل: أعمال الرسل ٢٢: ١٧-٢١؛ ٢٣: ١١.
- أمام يوحنّا في جزيرة بطمس: رؤية ١: ١٠-١٩.

تابع الدكتور بيترسون: «يا بريت، حتّى في عالم الصّحافة، إنَّ عدم ذكر فرد أو إغفال تفصيل لا يعني بالضّرورة إنكاره. البعض من التناقضات المزعومة لها تفسير أسهل ممَّا ظننتُ في بداية الأمر. مثلاً، قد لا يكون بولس وجميع كاتبو الأناجيل قد ذكروا ظهور يسوع إلى النّسوة لأنَّ شهادات النّسوة لم تكن تُعتبَر صالحة أمام المحاكم في ذلك الزَّمَن. لكن في المقابل إنَّ ذِكر الأناجيل لظهورات المسيح للنّسوة يشير إلى أنّ تلك الظهورات قد حصلت بالفعل. القصّة بسيطة وتخلو من التجميل الأسطوريّ الوارد في الأناجيل الغنوصيَّة من القرن الثاني.»

دخلت سوزان بيترسون: «آسفة على مقاطعتكم، ولكنّي حضَّرت بعض الحلويات والقهوة في الخارج إذا كان

أحدكم يرغب في تناولها.»

رَدَّ سكوت: «يبدو ذلك رائِعاً!»

وأضاف بريت: «أنا أشهدُ على حقيقةِ أنَّ الحلويات تشدُّنِي بقوَّة!»

الفصل التاسع عشر

الأجسام الرُّوحانيّة

بينما جلس الطلاّب على الشّرفة الخلفيّة حول المجمرة، تابعوا الحديث حول موضوع قيامة يسوع والسّماء والحياة بعد الموت. تشاركت مينا وجيسيكا بقصصٍ عن نيك وجمال، وطرحت أندريا على الدكتور بيترسون بعض الأسئلة عن السّماء معبّرةً عن شكوكها وصراعاتِها بصراحةٍ. تكلَّمَت عن الموت، ليس عن موت نيك وجمال فحَسب، بل موت أحد أقربائِها المقرّبين منها الذي توفّي في حادث سيّارة مؤخّراً. كان سكوت ولورين يشعران

بالفضـول حيـال طبيعـة الجسـد المُقـام مـن المـوت وتسـاءَلا في حـال كانـت القيامـة قـد حصلـت مـا إذا كانـت قيامـة روحيَّـة. كانـت لوريـن قـد سـمعت مـرَّةً متكلّمـاً في برنامـج أوبـرا يتكلّـم عـن تحـوّل الجميـع بعـد المـوت إلى كائنـاتٍ نورانيّـة روحانيّـة، شيء مثـل الملائكـة.

سـألت أندريـا: «ألا يسـمّي بولـس أجسـادَنا المُقامـة بـ»الأجسـام الرُّوحانيّـة»؟»

ردَّ الدكتـور بيترسـون: «يوافـق كاتبـو العهـد الجديـد بالكامـل عـلى أنَّ يسـوع قـد ظهـر في صـورةٍ جسـديَّةٍ وماديَّـة. تجـدر الإشـارة إلى أنّـه عندمـا تمَّـت رؤيـة يسـوع في جسـمِه الروحـانيّ، لـم يكـن جسـمه تمامـاً كجسـدِه الأرضيّ ولكنَّـه كان لا يـزال لـدى يسـوع «جسـمٌ» روحـانيّ، ولا يقصـد بولـس أو كاتبـو الأناجيـل بمصطلحهـم كائنـاً روحانيّـاً بحتـاً أشـبه بـ«كائـنٍ نـورانيٍّ» أو شـبح مـن بخـار يبقـى يـدور حـول الأرض. لقـد كان بالإمـكان رؤيـةُ جسـد يسـوع مادّيـاً ولمسُـه، ولـم يتـمّ أبـداً التميـيز بـين الإثنـين عـلى أنَّ الجسـم المقـام يختلـف عـن الجسـد الموضـوع في القـبر.»

سـألت جيسـيكا: «إذاً يـا دكتـور بيترسـون، هـل في هـذه اللحظـة نيـك وجمـال موجـودان في صورتهمـا الجسـديّة مـع المسـيح؟»

«همـا بالتأكيـد مـع الله بالـرّوح ولديهمـا جسـمٌ. لكـنَّ الكتـاب المقـدّس يقـول لنـا إنَّ جسـدهما نفسـه الـذي مـات سـيقوم إلى الحيـاة مـن جديـد ويتغـيَّر.»

علّقـت أندريـا والابتسـامة ترتسـمُ عـلى وجههـا: «آمـل أن أحصـل عـلى جسـدٍ مختلـفٍ تمامـاً في السّـماء!»

ردّ الدكتـور بيترسـون بسرعـة: «وأنـا آمـل أن يكـون لـديَّ المزيـد مـن الشّـعر! في الواقـع، لـديّ كتـاب يتحـدَّث عـن هـذا الموضـوع.»

قلبـت سـوزان بيترسـون عينيهـا. «لديـه كتـابٌ آخـر في كلِّ مـرَّة. كـم أتمـنّى لـو يضعهـا كلّهـا عـلى جهـاز الآي بـاد الـذي أهديتـه إيّـاه في عيـد ميـلاده. يحتـوي مكتبـه عـلى كتـبٍ أكـثر مـن اللـزوم!»

عاد الدكتور بيترسون مع الكتاب وبدأ يقرأ:

في حـين أنّـه صحيـح أنّ بولـس يعلّـم أنّ أجسـادنا المقامـة ستشـبه طبيعـة جسـم يسـوع وسـتكون روحانيَّةً إلا أنَّ ذلـك لا يعـني أنَّهـا لـن تكـون ماديّـة. إنَّ الأدلَّـة التفسـيريَّة عـلى تعليـم بولـس لا تدعـم اسـتنتاجاً كهـذا. إذا كان يُفهـم بعبـارة «سـوما پنوماتيكـوس» أو «الجسـم الروحـانيّ» جسـداً غـير ملمـوسٍ أو غـير قابـلٍ للحركـة أو غـير مـاديٍّ، فمـن الخطـأ عندهـا التأكيـد عـلى أنّ بولـس علّـم أنّنـا سـنحصل عـلى هـذا النـوع مـن الجسـم عنـد القيامـة. يوافـق المعلّقـون عـلى العهـد الجديـد عـلى أنّ كلمـة « پنوماتيكـوس» تعـني «روحـانيّ» بمعـنى التوجيـه وليـس بمعـنى المـادّة (راجـع كورنثـوس الأولى ٢: ١٥؛ ١٠: ٤). بالتـالي فـإنّ تحـوّل الجسـد الأرضيّ إلى جسـم روحـانيّ لا يخلّصُـه مـن الماديَّـةِ بـل مـن الفنـاء.»[٥٩]

مـال الدّكتـور بيترسـون أكـثر إلى المجمـرة وقلـب الصّفحـة.

٥٩. كريـغ، «هـل قـام يسـوع مـن بـين الأمـوات؟»، كمـا اقتبـس منـه ويلكـنز ومورلانـد، يسـوع تحـت النـار، ١٥٧.

إنَّ الـ«سـوما» (أي الجسـد) غـير القابـل للحركـة وغـير الملمـوس كان لِيُعـدّ تناقضـاً في المصطلحـات بالنسـبة إلى الرّسـول. سـيكون الجسـم المُقـام خالـداً، قويـاً ومُمجـداً، موجّهـاً نحـو الأمـور الرُّوحانيَّـة وملائمـاً للسّـكن في الخليقـة الجديـدة. يوافـق جميـع المعلّقـون عـلى أنّ بولـس لـم يُعلِّـم عـن خلـود الـرُّوح وحدهـا، لكـنَّ تأكيـدَه عـلى قيامـة الجَسـد قـد يُمـسي فارغـاً وغـير ممكـن قبولـه في عقيـدة كهـذه إلاّ إذا كان يعـني القيامـة الملموسـة والماديّـة. وبالتـالي، فـإنَّ الأدلّـة التفسـيريَّة لا تدعـم وجـود تشـعُّبٍ بـين بولـس والإنجيليِّـين في مـا يتعلّـق بطبيعـةِ الجسـد القائـم مـن المـوت.»[٦٠]

قالـت لوريـن: «أنـا لا أعـرف كيـف يمكنكـم تصديـق كلّ هـذه الأمـور. أنـا مـسرورةٌ لأنّ فكـرة الحيـاة بعـد المـوت تعطيكـم معـنًى وتعزيـةً، لكـنّي أظـنّ أنّ في الأمـر الكثـير مـن التمـنّي والإيمـان بـه يتطلّـب قفـزة ثقـة عميـاء.»

٦٠. المرجع نفسه.

الفصل العشرون

بولس وأعداؤُه

ردَّت مينا: «حسناً يا لورين، لننظر في ما تقولينه بصدق. أنتِ لم تقدِّمي حتّى الآن دحضاً متقناً باستخدام أدلّة تاريخيّة ومنطقيّة. لم يقم أحدٌ بذلك! في الواقع، لم يقدِّم أعداءُ المسيح أيُّ دحض للقيامة. فهم إمّا لزموا الصمت أو استهزأوا لكنّهم لم ينجحوا بتقديم تفسير جيّد.»

سأل بريت: «ماذا تعنين؟»

«أعني أنَّ البعض من الأعداء الأوائل بقوا صامتين مع أنَّهم كانوا في وضعٍ أفضل من أيِّ أحد في التاريخ

لدحض تلك الادّعاءَات عن يسوع. في سفر أعمال الرُّسُل ٢، وقف بطرس في يوم العنصرة وأعلن بجرأةٍ عن القيامة أمام حشودٍ معادية. لم يتكلَّم أحدٌ من اليهود بكلمة ليدحض ذلك. لماذا؟ لأنّ الأدلّة على القبر الفارغ كانت موجودة أمامهم ليتحقّق منها الجميع لو أرادوا أن ينكروها، لكن أحداً لم ينكرْها. وقد كلَّم بطرس الحشود قائلاً إنّهم كانوا أيضاً على علم بمعجزات المسيح، وبدلاً من دحضه أصبح الكثير منهم مسيحيّين في ذلك اليوم!»

فتحت مينا الكتاب المقدّس على هاتفها المحمول وتابعت كلامها: «يا بريت، في أعمال الرسل ٢٥، كان بولس مسجوناً في قيصريّة. وكان فستوس مسؤولاً عن الإجراءات القضائيّة، فـ«جلس على كرسيّ الولاية وأمر أن يُؤتى ببولس. فلمّا حضر، وقف حوله اليهود الذين كانوا قد انحدروا من أورشليم، وقدّموا على بولس دعاوى كثيرة وثقيلة لم يقدروا أن يبرهنوها».[٦١] لماذا أغاظت بشارة بولس اليهود إلى تلك الدّرجة؟ ما هي النقطة التي تحاشوها

٦١. أعمال الرسل ٢٥: ٦-٧

كليًّاً عند القيام بادِّعاءَاتهم؟ حين أراد فستوس تفسير ما يجري للملك أغريباس، قال إنَّ المشكلة الأساسيَّة تتعلّق بـ «واحد اسمه يسوع، كان قد مات، وبولس يقول إنّه حيّ».[٦٢] لم يتمكّن اليهود من ايجاد تفسير للقبر الفارغ وذلك قد أغاظهم، فقدَّموا كلّ أنواع الشكاوى الشخصيّة ضدَّ بولس لكنّهم تجنّبوا ذكر الدليل الموضوعيّ على القيامة.»

تابعت مينا: «أمّا الردُّ الآخر الأكثر شعبيَّة فهو أن يستخدمَ الخصومَ «الاستهزاء». عندما توجّه بولس إلى أثينا للتكلُّم مع الفلاسفة الأبيكوريين والرّواقيين عن المسيح، لم تكن لديهم أيّة أجوبة على ادعاءَاته. ويوثّق لوقا أنّهم «لمّا سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون.»[٦٣] مثل الملحدين الجدد لقد تخلَّصوا من المسألة بالاستهزاء لأنّهم عجزوا أن يفهموا كيف يمكن لإنسان أن يقوم من بين الأموات. حتّى أنّهم لم يحاولوا أن يدافعوا عن موقفهم بطريقة عقلانيّة.»

٦٢. أعمال الرسل ٢٥: ١٩

٦٣. أعمال الرسل ١٧: ٣٢

قلبت لورين عينيها: «لا يهمّ يا مينا.»

قالت مينا: «آه، لقد نسيتُ أن أخبركم ببقيَّة القصَّة عن فستوس وأغريباس.»

قالت لورين باندفاع: «هل لدينا أيّ إثبات على أنَّ فستوس وأغريباس كانا شخصين حقيقيَّين في التاريخ؟»

ردّ سكوت: «نعم لدينا أدلّة على ذلك، إنّ وجودهما هو حقيقية تاريخيَّة، لقد تحقّقتُ من الأمر.»

«حسناً لا تهتمّ بالأمر إذاً.» لم تكن لورين متأكّدة من أنّها تريد سماع المزيد.

لكنّ مينا تابعت كلامها: «قال بولس لأغريباس وللجميع في المحكمة «الْمَسِيحَ سَيَتَأَلَّمُ فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَقُومُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، وَيُبَشِّرُ بِالنُّورِ شَعْبَنَا وَالشُّعُوبَ الأُخْرَى.»[٦٤] وبينما كان بولس يقول ذلك في دفاعِهِ عن نفسه، صَرَخَ عليه فستوس، إليكم ما حصل:

٦٤. أعمال الرسل ٢٦: ٢٣

وَمَـا إِنْ وَصَـلَ بُولُـسُ فِي دِفَاعِـهِ إِلَى هَـذَا الْحَـدِّ، حَـتَّى قَاطَعَـهُ فَسْـتُوسُ قَائِـلاً بِصَـوْتٍ عَـالٍ: «جُنِنْـتَ يَابُولُـسُ! إِنَّ تَبَحُّـرَكَ فِي الْعِلْـمِ أَصَابَـكَ بِالْجُنُـونِ!»

فَقَـالَ بُولُـسُ: «لَسْـتُ مَجْنُونـاً يَاسُـمُوَّ الْحَاكِـمِ فَسْـتُوسَ، فَأَنَـا أَنْطِـقُ بِـكَلاَمِ الْحَـقِّ وَالصَّـوَابِ. وَالْمَلِـكُ الَّـذِي أُخَاطِبُـهُ الآنَ صَرَاحَـةً يَعْـرِفُ هَـذِهِ الأُمُـورَ الَّـتِي أَتَحَـدَّثُ عَنْهَـا، وَأَنَـا مُتَأَكِّـدٌ أَنَّـهُ لاَ يَخْفَـى عَلَيْـهِ شَيْءٌ مِنْهَـا، لأَنَّهَـا لَـمْ تَحْـدُثْ فِي زَاوِيَـةٍ مُظْلِمَـةٍ!

أَيُّهَـا الْمَلِـكُ أَغْرِيبَـاسُ، أَتُصَـدِّقُ أَقْـوَالَ الأَنْبِيَـاءِ؟ أَنَـا أَعْلَـمُ أَنَّـكَ تُصَدِّقُهَـا!» فَأَجَـابَ أَغْرِيبَـاسُ: «قَلِيـلاً بَعْـدُ، وَتُقْنِعُـنِي بِـأَنْ أَصِـيرَ مَسِـيحِيّاً!»[٦٥]

بينمـا كان بريـت يسـتمع إلى مينـا تتكلّـم عـن صمـت النقّـاد واسـتهزائِهم، فكّـر في أنّـه لا بـدّ مـن وجـود تفسـير آخـر. ففكّـر بالتقريـر الخـاصّ الـذي أعدَّتـه قنـاة ديسـكفري

٦٥. أعمال الرسل ٢٦: ٢٤-٢٨

مـن إنتـاج جيمـس كامـيرون، والـذي كان قـد شـاهده قبـل بضـع سـنوات. كان بريـت مصمماً عـلى إيجـاد تفسـيرٍ آخـر.

مـع اقـتراب نهايـة الأمسـية تكلّـم الطـلاّب في مواضيـع أخـرى، ودعـا الدّكتـور بيترسـون مـن يرغـب في الانضمـام إليهـم بالذهـاب إلى الكنيسـة وتنـاول الغـداء يـوم أحـد الفصـح بعـد أسـبوعين.

فكّـرت لوريـن أنّـه بمـا أنّهـا لـن تسـافر إلى العائلـة في كاليفورنيـا فربمـا قـد يكـون مـن الجيّـد أن تذهـب إلى الكنيسـة. كانـت قـد اشـترت لتوّهـا عـدّةَ أثـوابٍ جديـدة وكان يوجـد شيءٌ مـا في أحـد الفصـح يُشـعرها بالعطـف والأمـل.

كان سـكوت يتسـاءل كيـف يجـب أن يـردَّ عـلى الدعـوة: «أتعرفـون شـيئاً، أظـنّ أنّـه علينـا أن نحـرص عـلى النظـر إلى كلا الجانبـين مـن العملـة.» بـدا واضحـاً أنّـه كان مسـتاءاً قليلاً وشـعر بحصـول تآمـر ضـدَّه هـو ولوريـن وبريـت: «سـأزور كنيسـتك يـوم أحـد الفصـح إذا كان البعـض منكـم عـلى اسـتعداد لمشـاهدة شريـط فيديـو يُظهِـر الجانـب الآخـر.

كما أنّني أرغب في دعوة الدّكتور كلايتون إنغراهام الذي تكلّم عندنا في نادي الملحدين. سبق وخطّطت للالتقاء بالدكتور إنغراهام يوم الأربعاء القادم لأطرحَ عليه بعض الأسئِلة اللاهوتيَّة. سأقترح عليكم شيئاً بما أنَّ شقَّتي تقع مباشرةً قرب الحرم الجامعيّ. لماذا لا تأتون جميعاً يوم الأربعاء، ويمكننا مشاهدة حوالى عشرين دقيقة من تقرير جيمس كاميرون «قبر يسوع المفقود» وربّما يمكننا بعدها أن نتكلّم عن بعض الاعتراضات الأخرى على القيامة.»

قالت أندريا بردَّةِ فعلٍ فوريّة: «أتعني حقاً ما تقوله يا سكوت؟! جيمس كاميرون؟ هل تمزح؟ هل تؤمن أيضاً بالرِّجال الزّرق؟!»

ردَّت مينا بسرعة: «كوني لطيفةً يا أندريا. قد يؤدّي ذلك إلى محادثةٍ طريفة عن قبر تلفيوت ومدافن عظام الموتى. لنشاهد بضع دقائق من الفيديو ونتحاور بعدها حول الاعتراضات التي من المرجّح أن يأتي بها الدكتور إنغراهام. سأقول بكلّ احترام يا سكوت إنّ قلّةً هم

العلمـاءُ اللاهوتيّـون غـير جيمـس تابـور الذيـن يؤمنـون بشرعيّـة قـبر يسـوع المفـترض هـذا، لكـنّي متيقّنـة مـن أنّ إنغراهـام يعـرف بالاعتراضـات، وربمـا سـنجري مناقشـة حيويّـة. هـل يمكنـك الحضـور يـا دكتـور بيترسـون؟»

«أنـا آسـف، لا يمكنـني الحضـور في تلـك الليلـة، ولكـن شـكراً لكـم عـلى الدّعـوة. أنـا وسـوزان مدعـوّان إلى عشـاء، ولكـن أرجـو أن تنقلـوا تحيّـاتي إلى كلايتـون. نحـن أصدقـاء منـذ سـنوات.»

الفصل الحادي والعشرون

جيمس كاميرون وقبر يسوع المفقود

في مساء الأربعاء، اجتمع ما يقاربُ عشرةَ طلاّب، بالإضافة إلى الدكتور كلايتون إنغراهام في شقّة سكوت الخاصّة. ومع أنَّ الشقّة لم تكن كبيرة، فإنّ غرفته المفتوحة مع الشّاشة ذات الـ٥٠ إنش المسطّحة، قدَّمَت للطلاّب جوّاً لطيفاً من أجل مشاهدةِ جزءٍ من فيلم جيمس كاميرون وإجراء حوار بعده.

مع بدءِ الفيلم، بدأت مينا تكتب ملاحظاتٍ على جهاز الكمبيوتر المحمول الخاصّ بها. كانت قد شاهدته في وقتٍ

سابق خلال الأسبوع ودوَّنَت ملاحظاتٍ، لكنّها استمرَّت في ملاحظة مسائل جديدة. كما أنّها بحثت عن «قبر يسوع المفقود» على الموقع الإلكترونيّ لقناة ديسكفري، وبينما كان بقيّة الطلاّب يشاهدون الفيلم، كانت مينا تتصفّح الموقع. وقرأت فيه:

منذ السّبعينات في القرن العشرين، تمَّ اكتشاف مئاتِ القبور والآلاف من مدافن عظام الموتى (صناديق عظام من حجر الكلس) في منطقة أورشليم. وكانت مدافن عظام الموتى هذه بمثابة توابيت في أورشليم في القرن الأوّل. وقد عُثر على أحد هذه القبور الذي احتوى على عشرة مدافن لعظام الموتى، وستّة من صناديق هذه المدافن العشرة تحتوي على نقوش. تبيّن أنّ كلّ نقش في هذا القبر المحدَّد يرتبط بالأناجيل. في الوثائقيّ الخاصّ «قبر يسوع المفقود» يتمّ إثبات أنّ «قبر مدافن عظام الموتى العشرة» الذي يبلغ عمره ٢٠٠٠ سنة يعود إلى عائلةِ يسوع الناصريّ. يتّفق جميع علماء النقوش الرائِدون في

الـرّأي حـول النقـوش. ويؤكّـد جميـع علمـاء الآثـار عـلى طبيعـة الاكتشـاف. فالمسـألة تتوقّـف في نهايـة المطـاف عـلى الإحصـاءَات. وقـد اسـتنتجت دراسـة إحصائيَّـة أُجريـت بتفويـض مـن محطّـات البـثّ «قنـاة ديسـكفري»، «ڤيجـن كنـدا» و «س٤ المملكـة المتّحـدة» بـأنّ عامـل الأرجحيّـة يبلـغ نسـبة ٦٠٠ إلى ١ بـأن تظهـر مجموعـة أسـماء كهـذه بهـذا الشـكل «المفاجـئ» بمحض الصّدفـة في ظـلّ الافتراضـات الموجـودة. كمـا يوثّـق الفيلـم اسـتخراج الحمـض النـووي مـن بقايـا بشريّـة في اثنـين مـن مدافـن العظـام ويكشـف أدلّـة جديـدة تسـلّط الضَّـوء عـلى علاقـة يسـوع بمريـم المجدليّـة.[٦٦]

سرَّعَ سـكوت الڤيديـو إلى أكـثر الأجـزاء أهميَّـةً في الفيلـم، الـتي تؤكّـد عـلى أنّ عظـام يسـوع المسـيح نفسـها قـد اكتُشـفت.

عندمـا انتهـى الفيلـم، علّـق بريـت قائـلاً: «يبـدو هـذا

٦٦. قناة ديسكڤري،
http://dsc.discovery.com/convergence/tomb/about/about.html

تفسيراً بديلاً موثوقاً منه. أنا أكرِّر قولي إنّني أجد من الصّعب التّصديق بأنَّ هذا الرّجل، يسوع المسيح، قد قام فعلاً من بين الأموات. ما رأيك يا دكتور إنغراهام؟»

رَدَّ الدّكتور إنغراهام ببطء: «حسناً، هذا ليس البديل المفضَّل للقيامة بالنِّسبة إليّ.»

سألت آيمي: «ما هو البديل المفضَّل بالنّسبة إليك؟»

«يوجد تفسيراتٌ عديدة أخرى أفضل يمكننا مناقشتها في ما بعد.»

سألت أندريا: «يا دكتور إنغراهام، ما رأيك بالدراسة الإحصائيّة التي أجرتها قناة ديسكفري والتي استنتجت بأنّ عامل الأرجحيَّة هو في حدود ستمئة إلى واحد بأن تظهرَ مجموعة من الأسماء بهذا الشّكل «المفاجئ» بمحض الصّدفة؟»

فكّرت مينا «لا بدّ أنّها هي أيضاً كانت تدوِّن ملاحظات.»

«أنا لستُ مسيحيّاً، لكنّني أظنُّ أنَّ إحصاءَات الواحد في

٦٠٠ خاطئة. حتّى أنّني أذكر قراءَةَ مقالة على موقع مؤتمر «سكيبتيكون» شكّكت في هذه الإحصاءَات لعددٍ من الأسباب. أعرفُ أنَّ زميلي جيمس تابور سيخالفني الرَّأي ولكنَّ ثمَّةَ الكثير من غير الموحّدين الآخرين أمثال ويليام ديفر الحائز على شهادة الدّكتوراه من جامعة هارفرد، الذين يشكّكون في موثوقيَّة الفيلم على أساس تاريخيّ ببساطة.»

تكلّمت مينا: «يا سكوت، أنا الآن على الموقع الإلكترونيّ الخاصّ بالدّكتور غاري هابرماس ولدَيَّ بعض الاستنتاجات منه ومن الدّكتور بن ويذرينغتون. هل يمكنني قراءَة البعض منها؟»

رَدَّ سكوت «تفضّلي.»

بدأت مينا بالقراءة: «إنَّ الدكتور بن ويذرينغتون أستاذ في العهد الجديد في كليَّة أسبوري اللاهوتيَّة ومؤلّف كتاب «ماذا فعلوا بيسوع» وهذا ما قاله:

إنَّ فيلم «قبر يسوع المفقود» يُعتبر برنامجاً تلفزيونياً

جيِّداً ولكنّه يظهر قراءةٍ نقديَّة سيّئَةٍ للتاريخ. وما يفعله باختصار هو اعطاء تفسير جديد لأخبار قديمة. لقد عرفنا عن هذا القبر منذ اكتشافِه في العام ١٩٨٠. ولدينا أنواعٌ كثيرة من الأسباب تدفعنا للاعتقاد بأنّه مجرّد مبالغة كبيرة من لا شيء.[٦٧]

«ثمّ هذا ما يقوله الدكتور هابرماس»:

إن الادِّعاء الحديث بأنّه تمَّ العثور على قبر يسوع يحتوي على عددٍ هائلٍ من المشاكل. ففي نهاية المطاف، تُعَدُّ الأدلَّة العريقة عبر العصور، والمتعدِّدَة الأوجه، لما تقوله الأناجيل عن ألوهيَّةِ يسوع وموته وقيامته من بين الأموات، مقنعة أكثر من ذي قبل. حتّى أنَّ المناهضين الأوائل للرِّسالة المسيحيّة اعترفوا بأنّ قبر يسوع كان فارغاً. كما أنّه لم يجرِ يوماً دحض للأدلّة على ظهورات قيامة يسوع الجسديّة.[٦٨]

٦٧. http://www.garyhabermas.com/articles/the_lost_tomb_of_Jesus/losttombofjesus_response.htm

٦٨. المرجع نفسه.

لاحظت مينا: «في الواقع، ثمّة قائمة من الاعتراضات هنا. دعوني أقرأ البعض منها»:

- كان اسْمَا «يوسف» ويسوع» شعبيَّين ومنتشرين للغاية في القرن الأوّل. فاسمُ «يسوع» يظهر على ٩٩ قبراً على الأقلّ وعلى مدفنين لعظام الموتى ويظهر اسم «يوسف» على ٤٥ مدفنٍ للعظام.
- إسمُ «مريم» هو اسم الإناث الأكثر شيوعاً في العالم اليهوديّ القديم.
- إنّ أدلّة الحمض النووي لم تقيم أيّ روابط إيجابيّة من أيّ نوعٍ كان في هذا القبر.
- إنّ المقارنة الإحصائيّة بيسوع الناصريّ فيها أخطاء فادحة.
- ما من رابط تاريخيّ قديم أو أي رابط موجود في القبر يعود إلى مريم المجدليّة.
- ما من دليل تاريخيّ في أيّ مكان على أنّ يسوع تزوّج قطّ أو كان لديه أولاد.

- إنَّ المدعـوّ «يسـوع» الـذي وجـد في القـبر كان معروفـاً بـ«ابـن يوسـف»، لكـنّ الأتباع الأوائل ليسـوع في العهـد الجديـد لـم يدعـوه بذلـك الاسـم يومـاً.
- مـن المسـتبعد أن يكـون موقـع قـبر عائلـة يسـوع موجـوداً في أورشـليم.
- كان قـبر تلفيـوت باهـض الثَّمـن. يبـدو أنَّـه كان مُلـكاً لعائلـة ثريّـة.
- تـمّ تسـجيل مدفـن العظـام العـاشر وتحليلـه مـن دون اقامـة أي رابـط مـع مدفـن عظـام «يعقـوب».
- تتّفـق جميـع المصـادر القديمـة عـلى أنَّـه تـمَّ ايجـاد القـبر الـذي دُفـنَ فيـه يسـوع النـاصري فارغـاً بعـد أيَّـامٍ قليلـة مـن موتـه.
- تعجـز بيانـات قـبر تلفيـوت عـن تفسـير ظهـورات يسـوع بعـد القيامـة.[٦٩]

وبينما استفاضت مينا في ذكر المزيد من المعلومات، راح

٦٩. المرجع نفسه.

سـكوت ولوريـن ينظـران إلى الدكتـور كلايتـون إنغراهـام في انتظـار أن ينقُـضَ أيّـاً ممّـا قيـل، ولكـن بمـا أنّ الدكتـور إنغراهـام لـم يقُـل شـيئاً، اعتـبرت لوريـن أنّـه مـن الأفضـل تغيـير الموضـوع.

الفصل الثاني والعشرون

الدِّيانة المسيحيّة والأساطير الوثنيّة

«حسناً، قد يكون فيلم كاميرون غير صحيحٍ تماماً، ولكن يوجد تفسيرات طبيعيّة بكلّ تأكيد لما يُسمَّى بالقيامة. ربّما هي مجرَّد أسطورة تمَّت صياغتها وفقاً لآلهةِ الخصوبة المتعدِّدَة «التي تموت وتقوم» في الدّيانات الوثنيَّة القديمة أمثال أوزيريس وأدونيس وإيزيس. يمكن ببساطة أن تكون مسألة القيامة هذه مشتقَّة من الدِّيانات الوثنيَّة الغامضة.»

رَدَّتْ أندريا: «أنا أودُّ الإجابة على هذا الموضوع. قد يذكر البعض منكم أنني قبل سنة، حين كنتُ مجاهرَةً

بإلحادي كنتُ مقتنعةً بهذه النظريَّة التي نشرها المشكِّكون على صفحاتِ الإنترنت لتصبح شعبيَّة. بعد التحدُّثِ مع جمال والتَّحقيق في المسألة، اكتشفتُ أنَّ الكثير من «العناصر الموازية» التي يُفترض وجودها بين عقيدة القيامة المسيحيّة والآلهة الوثنيَّة التي تموت وتقوم يتمُّ المبالغة فيها للغاية. ما يحصل في الواقع هو أنَّه في الكثير من المرَّات يقوم النقّاد بوصف الطقوس الوثنيّة باستعمال لغة مُستعارة من المسيحيّة! فيتمّ استخذام كلمات مثل «المعموديّة» و«القيامة» في غالب الأحيان من دون تمحيص في المعنى لوصف أعمال الآلهة الوثنيّة، حتّى عندما لا توجد روابط تصلها بالمعتقدات المسيحيّة. كما أنّ التسلسل الزَّمنيّ لا يدعم فكرة اعتماد المسيحيّين الأوائل على الدِّيانات الغامضة. هل لديكِ أيّ شيء ترغبين في إضافته يا مينا؟»

«أودّ أن أضيف فقط أنّه من المستبعد جدّاً وأكثر من جداً أن يكون بولس مع الجذور اليهوديَّة الصارمة والموحِّدة لله التي لديه، قد استعار من الدّيانات الوثنيّة.

كما أنَّ موت يسوع المسيح وقيامته قد حصلا ضمن الإطار التاريخيّ وفي مكان وزمان تاريخيَّين محدَّدين.»

سأل بريت: «هل سمعتم جميعاً بنظريَّة «القبر الخاطئ» التي علّمها الأستاذ كيرسوب لايك، والذي يقول إنّ النّسوة لم يعرفن أيّاً من القبور كان يسوع مدفوناً فيه، وأنّهنّ ذهبن عن طريق الخطأ إلى القبر الخاطئ؟ ونتيجةً لوصولهنّ إلى القبر الفارغ، اقتنعن بأنَّ يسوع قام من بين الأموات.»[٧٠]

ردّت مينا بسرعة: «أوّلاً، إنَّ نظريّته تتجاهل جميع الأدلّة. ثانياً، هو يقوم ببناء كامل نظريّته على مفهومٍ مسبق لا أساس له. كنتُ أتوقَّعُ سماع بعض الاعتراضات الشَّائعة مثل هذه ونظريَّة الأسطورة ونظريّة الهلوسة، فدوَّنتُ بعضَ الأجوبة من علماء لاهوتيِّين رائِدين.»

فتحت مينا ملف وورد على كمبيوترها: «يشيرُ الدّكتور ويليم كريغ لاين إلى أنّه «إذا كانت القيامة خطأً جسيماً

٧٠. كيرسوب لايك، الأدلّة التاريخيّة على قيامة يسوع المسيح (نيويورك: أبناء بتنام، ١٩٠٧).

يستندُ إلى خطأ ارتكبته النِّسوة، فكان إذّاك أعداءُ المسيحيّة سيبتهجونَ كثيراً بالدّلالة على ذلك، بالإضافة إلى تحديدِ مكان القبر الصّحيح أو ربّما نبش جثّتِه. إنّ الفكرة التي تقول إنّ القيامة نشأت من توجّه النّسوة إلى القبر الخاطئ سطحيَّة للغاية.»[٧١] أنتما تعلمان يا بريت وسكوت من دراساتكما أنّه يجب على النظريّات البديلة أن تفسّر جميع الحقائق. فلنعتبر إذاً نظريّة القبر الخاطئ ونحلِّل استنتاجها المنطقيّ. إذا كانت النّسوة قد ذهبنَ إلى القبر الخاطئ، فعليك عندها أن تقولَ إنَّ الرِّجال أيضاً ذهبوا إلى القبر الخاطئ، وكذلك اليهود والرُّومان، وأظنُّ أنّه سيكون عليك أن تقولَ أيضاً إنَّ الملائكة ذهبوا إلى القبر الخاطئ. بالنّسبة إليّ يا بريت، هذا الأمر يتخطّى حدود المعقول بشكل واضح. ونظريّة القبر الخاطئ لا تقدِّم تفسيراً لما رآه بولس أو يعقوب وتحوِّلهما للايمان.»

علّق شارل وهو أحد أصدقاء بريت من نادي الملحدين قائلاً: «لا بدّ من أنّ تكون هذه الأمور المتعلّقة

٧١. ويليام كريغ لاين، الابن يقوم (يوجين: ناشري ويب وستوك، ٢٠٠٠)، ٤٢.

بالقيامـة أسـطوريّة. أنتـم تعلمـون كيـف تجـري الأمـور، تقومـون بإخبـار قصّـة مـا لعـددٍ كافٍ مـن المَـرَّات ثـمَّ تنتظـرون مـا يكفـي مـن الوقـت، فينتهـي الأمـر بنسـخةٍ جـدّ مبالـغ فيهـا عـن القصَّـةِ الأصليَّـة.»

رَدَّت أندريـا: «ولكـن ألـن يكـون ذلـك مسـتحيلاً؟ فـإنَّ قصـص القيامـة قـد تـمَّ تداولهـا عـلى نطـاق واسـع وتدوينهـا مـن قبـل شـهود عيـان. كتـب بولـس في منتصـفِ خمسـينات القـرن الأوّل ب.م. أنَّ أكـثر مـن خمسـمئةٍ مـن شـهود العيـان المباشريـن كانـوا لا يزالـون أحيـاءَ. وكان هـذا الأمـر قـد أصبـح معروفـاً علنـاً بعـد ثـلاث إلى ثمـاني سـنوات مـن زمـن المسـيح.»

سـأل بريـت: «ثـلاث إلى ثمـاني سـنوات مـن زَمَنِ المسـيح؟ عمَّـا تتكلَّمين؟»

رَدَّت مينـا بسرعـة: «نعـم، إنَّ المقطع في رسـالةِ كورنثوس الأولى يسـجِّل «التعابـير العقائِديَّـة» الـتي كانـت عـلى الأرجـح متداولـة بعـد سـنواتٍ قليلـة مـن قيامـة المسـيح. وقـد حـدَّدَ العلمـاءُ اللاهوتيُّـون مـا يعتقـدون أنّـه عـلى الأقـلّ أجـزاء مـن

الاعترافـات العقائديّـة المسـيحيّة الأولى الـتي صاغوهـا وتناقلوهـا شـفهيّاً قبـل سـنواتٍ مـن تسـجيلها في أسـفار العهـد الجديـد. وكمـا يفـسّر غـاري هابرمـاس، المدافـع عـن العقيـدة المسـيحيّة، فـإنّ هـذه التأكيـدات تحفـظ البعـض مـن الأخبـار الأولى الـتي تتعلّـق بيسـوع والـتي يعـود تاريخهـا إلى العـام ٣٠-٥٠ ب.م. وبالتـالي فـإنّ العقائـد المتداولة تقوم فعليـاً «بحفـظ المعلومـات السـابقة لجمـع العهـد الجديـد وهـي المصـادر الأولى الـتي نمتلكهـا عـن حيـاة يسـوع.»[٧٢] بمعـنىً آخـر، لقـد تـمّ حفـظ تلـك الأقـوال وتناقلهـا شـفهيّاً.»

بـدأت مينـا تقـرأ ملاحظـات مـن محـاضرة كان جمـال قـد أرسـلها إليهـا عـبر البريـد الإلكـتروني في العـام المـاضي: «أكـثر مـن تسـعين في المئـة مـن جميـع العلمـاء الذيـن نـشروا مؤلّفـات عـن القيامـة في السـنوات الثلاثـين الأخـيرة، بمـن فيهـم العلمـاء الأكـثر تحـرّرًا في معاهـد رابطـة آيفـي، يعترفـون بـأنّ التاريـخ الأوّل لكتابـة رسـالة كورنثـوس الأولى هـو بـين العـام ٥٣ و٥٧ ب.م.، كمـا يقـرّون بـأنّ بولـس الرسـول هـو الكاتـب الحقيقـي لتلـك الرِّسـالة.»

٧٢. غاري ر. هابرماس، حكم التاريخ (ناشفيل: توماس نيلسون، ١٩٨٨)، ١١٩.

تابعـت مينـا: «إحـدى الاعترافـات العقائديَّـة موجـودة في رسـالة كورنثـوس الأولى ١٥: ٣-٥ وقـد جـاء فيهـا «فَإِنَّـنِي سَـلَّمْتُ إِلَيْكُـمْ فِي الأَوَّلِ مَـا قَبِلْتُـهُ أَنَـا أَيْضـاً: أَنَّ الْمَسِـيحَ مَـاتَ مِـنْ أَجْـلِ خَطَايَانَـا حَسَـبَ الْكُتُـبِ، وَأَنَّـهُ دُفِـنَ، وَأَنَّـهُ قَـامَ فِي الْيَـوْمِ الثَّالِـثِ حَسَـبَ الْكُتُـبِ، وَأَنَّـهُ ظَهَـرَ لِصَفَـا ثُـمَّ لِلاثْـنَيْ عَـشَرَ.»

نظـرت لوريـن إلى الدكتـور إنغراهـام الـذي فاجأهـا بأنَّـه ظـلّ صامتـاً حـتّى هـذه اللحظـة: «مـا هـو التفسـير البديـل المفضّـل لديـك يـا أسـتاذ إنغراهـام؟»

الفصل الثالث والعشرون

نظريّة الهلوسة

«الكثير من النظريَّات لديها تبريراتها لكنّني شخصيّاً أفضِّل نظريّة الهلوسة. كما أنّني أميل إلى التفكير في أنّ الجسد قد سُرق. لستُ مقتنعاً بها تمام الاقتناع، لكنّني أوافق على أنّ شهود العيان مثل بولس وبطرس والتلاميذ ظنّوا أنّهم رأوا المسيح القائم من بين الأموات. الكلمة المفتاح هنا هي «ظنّوا».»

ابتسمت لورين وآيمي إحداهما للأخرى. فإنَّ بطل الإلحاد في حياتهما يستعدّ على الأرجح لتفسير المسألة

بكاملها. كما أنّ مينا وأندريا وجيسيكا ابتسمن أيضاً لبعضهنّ البعض لأنَّهنّ كنّ قد قرأن عدَّة مقالات كتبها إنغراهام وعرفن أنّه أجرى بحوثاً مكثّفة حول اعتراضه هذا.

تابع الدكتور إنغراهام كلامه مع ابتسامةٍ عريضة: «دعونا نبقي في الاعتبار أيضاً أنَّ التلاميذ لم يكونوا أذكى مجموعة من الناس. كلمة «هلوسة» هي الصياغة العربيّة للكلمة اللاتينيّة «ألوسيناسيون» التي تعني «شرود الذّهن والكلام الفارغ والثرثرة.»[٧٣] توافق الملاحظات الطبيّة والنفسيّة على أنّ الهلوسة هي كناية عن عملِ رؤيةٍ ظاهرٍ لا يستند إلى وجود غرض أو كيان خارجيّ متوافق. تنتج الهلوسات عن مشاكل نفسيّة داخليّة بحتة، ولا تصف غرضاً خارجيّاً موجود فعلاً. إنَّها رؤىً شخصيّة. ومن المرجّح أن يكون أولئك التلاميذ قد «ظنّوا» أنّهم رأوا شيئاً لم يكن موجوداً في الواقع.»

٧٣. ثيودور ر. سارين وجوزيف ب. جوهاش، «العقد الاجتماعي للهلوسة»، الهلوسة: السلوك والتجربة والنظريّة، تحرير ر. ك. سيغل و ل. ج. وست (نيويورك: جون وايلي أند سونز، ١٩٧٥)، ٢٤٢.

تكلّمت أندريا أوّلاً: «بشكل عامّ يا دكتور إنغراهام، ألا تعاني فقط أنواع معيّنة من البشَر بالهلوسات، وهم في العادة الأفراد المصابون بجنون الشَكّ والارتياب (البارانويا) أو بانفصام الشَّخصيّة أو المرضى على فراش الموت أو الأشخاص الذين هم تحت تأثير المخدِّرَات؟»

رَدَّ الدكتور إنغراهام: «فعلاً، يبدو أنَّ هذه هي الحال في غالب الأحيان. ومجموعة الأشخاص الغريبي الأطوار وغير المثقَّفين الذين أحاطوا بيسوع يبدون مصابين بجنون الشكّ والارتياب نوعاً ما بالنِّسبة إليّ.»

قاطعته مينا: «في الحقيقة، يبدو أنَّهم مزيجاً من جميع أنواع الناس ومن خلفيّاتٍ وأعمار ووظائف مختلفة الذين يدّعون بأنّهم رأوا يسوع القائم من بين الأموات.»

تابعت أندريا: «يا دكتور إنغراهام، ترتبط الهلوسات بتجارب الفرد الباطنيَّة والماضية ممّا يجعل من المستبعد أن يكون لدى شخصين أو أكثر الهلوسة نفسُها في الوقت ذاته. ظهر المسيح لأشخاص عدّة ويحتوي وصف تلك

الظهـورات المتنوّعـة عـلى العديـد مـن التفاصيـل الدقيقـة، وبالنسـبة إلى علمـاء النَّفـس تُعتـبر هـذه مـؤشّرات جيّـدة عـلى أنّ أولئـك الأشـخاص كانـوا متّصلـين بالواقـع.»

ابتسـم الدكتـور إنغراهـام ببسـاطةٍ بينمـا تكلّمـت الشـابَّتان.

نظـرت أندريـا سريعـاً في جميع أنحاء الغرفـة لتلاحظ ردودَ الفعـل ولكنَّهـا تابعـت كلامها: «أودّ قـراءة اسـتنتاج كتبه عالمُ النّفـس السريـريّ الدكتـور غـاري كوليـنز: «الهلوسـات هـي أحـداث فرديّـة. وبسـبب طبيعتهـا، لا يمكن إلاّ لشـخص واحد أن يـرى هلوسـةً معيّنـة في وقـت معـيّن. بـكلِّ تأكيـد، ليسـت الهلوسـات شـيئاً يمكـن لمجموعـة مـن الأشـخاص رؤيتـه... وبمـا أنَّ الهلوسـة لا توجـد إلاّ في المعـنى الـذاتيّ والشَّـخصي، فمـن الواضـح أنّـه لا يمكـن للآخريـن أن يشـهدوا عليهـا.»[٧٤]

«اسـتنتج كوليـنز أنّ الأدلّـة ضـدّ فرضيّـة الهلوسـة مقنعـة

٧٤. غـاري كوليـنز، دكتـوراه، في المراسـلات الشـخصيّة، مُسـجّل في غـاري ر. هابرمـاس، «النهضـة الحديثـة لنظريـات الهلوسـة»، في مجلّـة الأبحـاث المسـيحيّة، العـدد ٢٣، رقـم ٤ (١٣ أغسـطس ٢٠٠١)، ٤٨.

تمامـاً لدرجـة أنّـه «سـيكون عـلى المشـكّكين أن يعارضـوا الكثـير مـن بيانـات الطـبّ النفـسيّ والمتابعـة النفسـيَّة الـتي تصـف ماهيّـة طبيعـة الهلوسـات.»[٧٥]

تابعـت مينـا: «يـا دكتـور إنغراهـام، لقـد قـرأتُ المقالات الـتي كتبتَهـا، لكـنّي درسـتُ أيضـاً طبيعـة الهلوسـات وهـي تقتـصر في العـادة عـلى الزّمـان أو المـكان حيـث يمكـن أن تحـدث. في حـالات العهـد الجديـد، نجـدُ أنَّ الظـروف المؤاتيـة غـير موجـودة. كما أنَّ الظّهـورات الـتي تمَّ تسـجيلُها هـي أكـثر بكثـير مـن مجـرّد نظـرات خاطفـة، ومـدَّة الوقـت نقطـة هامَّـة في المسـألة. ولدينـا تسـجيل عـن خمسـة عـشر ظهـوراً مختلفـاً، وإحـدى هـذه الظهـورات حصلـت أمـام أكـثر مـن خمسـمئة شـخص.»

تحـوّل صمـت الدكتـور إنغراهـام فجـأةً إلى غضـب: «هـل تلمّحـون أنتـم المسـيحيّون إلى أنّـه عـلى الشّـخص أن يؤمـن بالقيامـة الحرفيّـة ليسـوع وإلاّ يُـدان بالذّهـاب إلى جهنّـم؟ مـاذا عـن الدِّيانـات الأخـرى كلِّهـا؟» بـدأ الآن يرفـع صوتـه: «مـاذا عـن جميـع الأطفـال الذيـن يترعرعـون

٧٥. المرجع نفسه.

متعلّمين أنَّ الإسلام صحيح. هل هم ذاهبون إلى جهنّم يا مينا؟ يوجد ما يقارب مليار مسلم يؤمنون بصدق بأنّ المسيح لم يمت على الصّليب حتّى. أظنُّ أنَّ المسيحيِّين الذين يؤمنون أنَّ يسوع المسيح هو الطريق الوحيد هم من أكثر النّاس تعصُّباً وتزمُّتاً في العالم بأسره.»

صفّقت له لورين: «هذه نقاط رائعة!»

تكلّمت مينا بحذر: «لقد ذكرتَ عدّة اعتراضات على المسيحيّة ولكنّك تغيِّرُ الموضوع. إنّ مسألة الخلاص ومَن يذهب إلى السّماء موضوع كبير بحدِّ ذاته ويستحقّ المناقشة على حدة. ولكنّنا في هذه الأثناء نحاول أن نشرح، من وجهة نظرٍ تاريخيَّة، التفسير الأكثر منطقيّة لقبر المسيح الفارغ وظهوراته بعد القيامة. قلتَ إنّ نظرة الإسلام لصلبِ المسيح وقيامته تتعارض تماماً مع وجهة النظر المسيحيّة التقليديّة. يجب أن تكون إحدى وجهتَي النَّظر على حقّ والثانية على خطأ. من المستحيل أن يكون يسوع الناصري مات ولم يمت على الصّليب في الوقت عينه.»

سألت لورين: «يا دكتور إنغراهام، بماذا يؤمن المسلمون بالتّحديد عن موت المسيح؟»

قال الدكتور إنغراهام: «يا أصدقائي، يزعم القرآن أنّ يسوع لم يُصلب على الصليب. وبدلاً من السَّماح ليسوع، وهو أحد خدّام الله، بأن يُصلب، يُقال إنّ الله احترم نبيَّه وخلّصَه عبر صلبِ أحد المتفرِّجين الذي شُبِّهَ بيسوع. هذا ما يُعرف بـ«نظريَّة الاستبدال». يُفهم في العادة أنَّ إمَّا يهوذا الإسخريوطيّ أو سمعان القيروانيّ قد حلَّ محلّ يسوع. وبدلاً من أن يُصلب يسوع، صعدَ إلى السَّماء حيث يبقى حيّاً لحينِ عودتِه إلى الأرض قبل نهاية الأزمان.»

سألت جيسيكا: «هل تصدّق هذه النظريّة يا دكتور إنغراهام؟»

«ليس بالضّرورة، ولكنّني أريد أن يعرف المسيحيّون بوجود مدارس فكريّة أخرى.»

قالت مينا: «يا دكتور إنغراهام، أنا أرفضُ نظريَّة الاستبدال في الإسلام استناداً إلى مشاكل تاريخيَّة. لا يوجد أيّ علماء لاهوتيّين معروفين في يومِنا هذا يقبلون بهذِه النظريَّة،

مـا عـدا الملتزمـين باللاّهـوت الإسـلاميّ. مـن الناحيـة التاريخيّـة، ليـس لدينـا أيّ إثباتـات عـلى هـذه النظريَّـة طـوال عـدّة مئـاتٍ مـن السِّـنين بعـد القيامـة. لقـد توقّـع العهـد القديـم موتَ المسـيح، ويسـوع بموتـه قـد تمَّـمَ تلك النبـوءَات. لدينـا نسـخةٌ محفوظـة مـن مخطوطـة إشـعياء تشـمل النبـوءَات الـتي تمَّمَهـا يسـوع وقـد تـمَّ اكتشـافُها مـع مخطوطـاتِ البحـر الميِّـت الـتي يسـبق تاريخهـا الحـدثَ بأكـثر مـن مئـة سـنة.

«بالإضافـة إلى ذلـك، لقـد تنبّـأَ يسـوع بموتِـهِ الخـاصّ. أذكـر أنّـني قـرأتُ ممّـا كتبـه الدكتـور مايـكل ليكونـا عـن وجـود اتّفـاق بـين العلمـاء اللاهوتيّين بمـن فيهم العلمـاء اللاهوتيّين المشـكّكين، عـلى أنّ يسـوع قـد روى المثـلَ الـوارد في إنجيـل مرقـس ١٢ الـذي يصـف الابـنَ المحبـوب الـذي قُتِـلَ عـلى يـدِ مزارعـين أشرار. مـن الواضـح أنّ يسـوع يتكلّـم في المَثَـل عـن رفضـه وموتـه العتيـد عـلى يـد الشّـعب اليهـوديّ.[٧٦] وبمـا أنّ يسـوع تنبّـأ بموتـه العنيـف وأنَّ محمّـد اعتـبر يسـوع نبيّـاً،

٧٦. مرقس ١٢: ١-١٢؛ لاسيما الآية ١٢

فلو لم يمُت يسوع ميتةً عنيفة فعلاً لكان في الواقع نبيّاً دجّالاً، وهذه تهمة مرفوضة كليَّاً كأناثيما من المسيحيّين والمسلمين على حدٍّ سواء. إذاً إن كان الأمر كذلك، فعندها لا بدَّ أن يكون القرآن على خطأ بما أنّه يزعم أنّه نجا من الموت صلباً.»[٧٧]

بدت معالمُ الإستياء واضحة على وجه لورين: «يا مينا، أنتمُ المسيحيّين متعصّبون للغاية وسريعو الحكم على المعتقدات الأخرى. عليكم ان تكفّوا عن اتّهام الآخرين بأنّهم على خطأ طوال الوقت.»

سألت مينا: «أنت تقولين إذاً أنّ استنتاجاتي صحيحة؟»

رفعت لورين صوتها قائلةً: «لا!»

ابتسمت مينا.

٧٧. مُقتبس من مايكل ليكونا، بولس يلتقي بمحمد: جدال مسيحي مسلم حول القيامة (غراند رابيدس: بيكر بوكس، ٢٠٠٦)، ٥٥.

الفصل الرابع والعشرون

نظريّة المؤامرة

تكلّم الدكتور إنغراهام: «مع أنّني قد لا أتّفقُ بالكامل مع فيلم جيمس كاميرون، إلا أنَّ عدّة علماء لاهوتيّين يعتقدون أنّ أتباع يسوع سرقوا جسدَه واخترعوا قصّة القيامة. حتّى أنّ إنجيل متّى ذكر هذه النظريّة.[٧٨] ذهب الحرّاس الذين كانوا على باب القبر إلى رئيس الكهنة اليهوديّ للتبليغ عمّا حصل. فقام رئيسُ الكهنة برشوة الحرّاس الرُّومان، وأخبرهم بدَوره أن ينشروا أكذوبةَ أنّ التلاميذ سرقوا جسد يسوع. وبالمقابل، وعد رئيسُ الكهنة بحماية

٧٨. راجع متى ٢٨: ١١-١٥

الحـرّاس مـن خـلال تلطيـفِ الأجـواء مـع بيلاطـس.» وبينمـا كان الدكتـور إنغراهـام يتكلّـم، بحـث عـن بعـض المراجـع التاريخيّـة عـلى جهـاز الكمبيوتـر الخـاصّ بـه.

«يـا مينـا، وفقـاً لجاسـتن مارتـر، في كتابـه «حـوار مـع تريفـو رقـم ١٠٨» كانـت القصَّـة تُـروى في حـوالى العـام ١٣٠ ب.م.: «واحـدٌ اسمُه يسـوع، مخـادع مـن الجليـل، صلبنـاه لكـنّ تلاميـذَه سرقـوه في الليـل مـن القـبر الـذي كان موضوعـاً فيـه بعـد أن أُنـزِل مـن عـلى الصّليـب، وهـم يخدعـون النّـاس بتأكيدهـم أنّـه قـام مـن بـين الأمـوات وصعـد إلى السّـماء».»[٧٩]

تدخّـل جـارد، وهـو ملحـدٌ آخـر، وقـال بحمـاس: «هـذا يؤكّـد عـلى مـا ظننتُـه منـذ البدايـة، أنّ التلاميـذ تآمـروا معـاً وسرقـوا الجَسَـد!»

وكانـت مينـا، الـتي اعتـادت عـلى هـذا الاعـتراض الشَّـعبيّ، قـد سـبق أن وضعـت إشـاراتٍ مرجعيَّـةً إلى عـدّة أجوبـة. فعلّقـت بالعـودة إلى بحـوثٍ موجـودة عـلى جهازهـا الكمبيوتـر وقالـت: «يـا دكتـور إنغراهـام، يجـب أن تعـرف

٧٩. جاستن مارتر، حوار مع تريفو رقم ١٠٨.

أنّ نظريّـة المؤامـرة هـذه قـد دحضهـا المـؤرّخ الكبـير يوسـابيوس في عملـه «Deomonstratio Evangelica» (الإثبـات عـلى الإنجيـل). يحاجـج يوسـابيوس أنّـه مـن غـير المعقـول البتـة أن تنجَـحَ مؤامـرة مُحكمـة ومعقّـدة التخطيـط مثـل هـذه. ويلقـي يوسـابيوس خطابـاً سـاخراً يتخيَّـلُ أنّ التلاميـذ ألقـوه بهـدفِ تحفـيز بعضهـم بعضـاً:

«دعونـا نتَّحـدْ معـاً لاختـراع جميـع المعجـزات وظهـورات القيامـة الـتي لـم نرَهـا يومـاً، ودعونـا نحمـل العـار حـتّى إلى الممـات! لـم لا نمـوت مـن أجـل لا شَيء؟ لـم لا نحـبّ التعذيـب والجلـد الـذي يُحكـمُ علينـا بـه مـن دون سـبب؟ دعونـا نذهـبْ إلى جميـع الأمـم ونُطِـحْ بمؤسَّسـاتِهم الدينيَّـة ونُنكـرْ آلهتهـم! وحـتّى وإن لـم نقنـع أحـداً، فعـلى الأقـلّ سـنحصل عـلى الـرضى لأنَّنـا سـنجلب عـلى أنفسـنا عقـاب الخـداع الـذي اخترعنـاه.»

قالـت أندريـا: «يبـدو أنّ يوسـابيوس يلمّـح إلى أنّنـا إن لم نثق بالتلاميذ، فيجب عندها ألاّ نثق في كلّ الكتّاب في التاريخ!»

كتَّـف الدكتـور إنغراهـام ذراعيـه بينمـا تابعـت مينـا كلامهـا: «تُظهـر لنـا وسـائلُ الإعـلام باسـتمرار أنَّ المؤامـرات تنكشـف في نهايـة الأمـر. فإمّـا يكشـف الخصـوم الحقيقـة أو يضعـفُ أحـدُ المتآمريـن مـن الدّاخـل ويستسـلم للضّغـوط. يـا دكتـور إنغراهـام، هـل يمكنـني مـن فضلـك أن أقـرأ اسـتنتاجاً آخـر مـن تشـاك كولسـون، المستشـار الخـاصّ للرّئيـس نيكسـون، خـلال فضيحـة واترغايـت؟»

«أنـا بصـدق لا أرى كيـف ينطبـق هـذا الـكلام عـلى مـا نقولـه، ولكـن تفضّـلي واقرَئِيهـا!»

«شـكراً لـك. كتـب كولسـون: «أعـرف كـم أنّـه مـن المسـتحيل بالنّسـبة إلى مجموعـةٍ مـن النـاس، حـتّى مـن بـين أكـثر النـاس نفـوذاً في العالـم، المحافظة على كذبـة. لم تدم تغطيـة واترغايـت إلاّ لأسـابيع قليلـة قبـل أن يضعـف المتآمـرُ الأوّل ويقـوم بالإفشـاء بأدلّـة الدّولـة».[٨٠] مـا إن ارتفعـت الضّغـوط أدركَ متآمـرو واترغايـت أنّـه يمكـن معاقبتهـم فضعفـوا. ولكـن في المقابـل، لـم يتخـلَّ أيٌّ مـن تلاميذ يسـوع

٨٠. تشارلز كولسون، كيف سنعيش الآن؟ (ويتون: تيندايل، ١٩٩٩)، ٢٧٥ – ٧٦.

عـن إيمانـه بقيامـة يسـوع مـع أنّهـم تعرَّضـوا للاضطهـاد الرّهيـب والمـوت.»

توجّهـت جيسـيكا بكلامهـا إلى جـارد: «لقـد ذكـرتَ أيضـاً يـا جـارد أنّ التلاميـذ سرقـوا الجسـد. كيـف كان بإمـكان ذلـك أن يحصـل؟»

ردّ جـارد: «بعـد ليلـةٍ طويلـة أمضاهـا الجنـود في قتـل يسـوع، ربَّمـا حـلَّ التعـب عليهـم ونامـوا.»

«لقـد تعلَّمـتُ مـن الدكتـور بيترسـون أنَّ الانضبـاط والمساءَلة لـدى الجنـود الرُّومـان كان شـبيهاً بذلـك الموجـود لـدى القـوّات الخاصَّـة للبَحريَّـة الأميركيَّـة. وعـلى ضـوءِ انضبـاط الجيـش الرُّومـانيّ الملحـوظ، أليـس مـن السّـخيف الاعتقـاد أنَّ فريقـاً مـن الحـرّاس المدرَّبـين تدريبـاً عاليـاً قـد نـام خـلال ممارسـة الواجـب، بينمـا قامـت مجموعـةٌ مـن الصيّاديـن الخجولـين بكـسر الختـم بهـدوء ودحرجـة الحجـر الضَّخـم جانبـاً ورفـع جسـد يسـوع وحملـه والفـرار بـه بعيـداً. تذكّـر أنّ هـؤلاء التلاميـذ هـم رجـالٌ فـرّوا مـن

البستان عند ظهور أوّل علامة على حدوث مشاكل، والرَّجل الأكثر شجاعةً من بينهم لعنَ وحلفَ لفتاةٍ خادمةٍ بأنّه لم يعرف يسوع قطّ.»

تنهّد الدكتور إنغراهام قائلاً: «الدكتور بيترسون قال لك هذا، أليس كذلك؟ يا للهول كم غيّرَ في معتقداته! حتّى أنّه دعاني إلى الذّهاب إلى الكنيسة معه في أحد الفصح. أنظري يا جيسيكا، لا يهمّني كم كان أولئِكَ الجنود مدرَّبين. الجميع يتعبُ في وقتٍ ما، حتّى القوَّات الخاصَّة للبَحريَّة الأميركيَّة.»

«ماذا عن ظهورات يسوع بعد القيامة لمشكِّكِين أمثال يعقوب، وتوما وبولس؟ وماذا عن الشّهود الخمسمئة؟ وفي النهاية لماذا قد يسرقُ التلاميذ الجسد ولكن يتركون ثيابَ القبر وراءَهم؟ لماذا قد يستغرق السّارقون وقتاً لتعريةِ جثّةٍ مشوَّهة بعناية ووضع الثياب في كومةٍ جانباً؟»

بدأت لورين تشعرُ بالتوتّر قليلاً عندما رأت الدكتور إنغراهام يضحكُ من جديد. كان ينظر إلى مينا نظرةً ثابتة

وقال: «ستصبحين محاميةً جيّدة يوماً ما أيّتها الشابَّة.»

كان يأمل سكوت أن يقدّم الدكتور إنغراهام المزيد من الاعتراضات، لكنّه لاحظ أنّه كان في الواقع يلقي نظرةً على ساعته ويستعدّ للمغادرة. وقبل أن يقول أحدٌ شيئاً، سألته جيسيكا: «يا دكتور إنغراهام، هل ستذهب إلى الكنيسة مع الدكتور بيترسون؟ لقد وافق سكوت وبريت على الذهاب.»

«آه هل وافقا حقّاً؟» استدار ورَمَقهُم بنظرة حيرة.

ردّ سكوت: «أجل، وافقنا على الذهاب معهم إلى الكنيسة يوم الفصح إذا شاهدوا معنا جزءاً من فيلم قبر يسوع المفقود.»

ضحك الدكتور إنغراهام.

الفصل الخامس والعشرون

أحد الفصح

قـام الدكتـور بيترسـون وسـوزان بحَجـز صفَّـين كاملـين مـن المقاعـد في قاعـة الكنيسـة الكبـيرة الـتي كانـا يذهبـان إليهـا. كانـت الكنيسـة مكتظّـة بأكـثر مـن خمسـة آلاف شـخص. وجلـس معهـم الدكتـور إنغراهـام وزوجتـه وابنتـه، بالإضافـة إلى ثمانيـة طـلاّب. نظـر سـكوت إلى بريـت ولوريـن وابتسـم بينمـا كان الضَّيـف المتكلّـم، الدكتـور غـاري هابرمـاس، يـدرج أدلَّـةً عـن ألوهيّـة يسـوع المسـيح وقيامتـه. فكَّـر سـكوت في نفسـه «لقـد عرفـت أنّ الدكتـور بيترسـون

كان يخطّط لشيء ما عندما دعانا جميعاً إلى الكنيسة.»

بعد أن قرأ الدكتور هابرماس آياتٍ من الكتاب المقدّس، اعتمد نهج «الحدّ الأدنى من الحقائِق المثبتة» لبرهنة أنّ قيامة يسوع كانت جسديّةً وتاريخيّة. تذكّر بريت أنّه سمعَ جمال والدكتور بيترسون يقتبسان من نهجه. يستفيد هذا النَّهج من مقاربة الأدلَّةِ التي يؤمن بها جميعُ العلماء اللاهوتيِّين تقريباً عن يسوع التاريخيّ، من اللاأدريِّين الليبراليِّين والملحدين المشكّكين وصولاً إلى المسيحيّين الأصوليّين. ناقش هابرماس قائلاً إنَّه بغَضِّ النَّظر عن القناعة اللاهوتيّة يتّفقُ جميعُ العلماءِ اللاهوتيِّين تقريباً على أنَّ البيانات التّالية عن يسوع وأتباعِه هي صحيحة تاريخيّاً. وضعها على الشّاشات العملاقة:

- لقد مات يسوع بالصّلب الرّوماني.
- لقد دُفنَ، على الأغلب في قبرٍ خاصّ.
- قصيراً بعد ذلك شعر التلاميذ بالإحباط وألم الفراق واليأس لأنَّهم فقدوا كلَّ أمل.

- تـمَّ ايجـاد قـبر يسـوع فارغـاً بعـد وقـت قصـير مـن دفنِـه.[٨١]
- حصلـت لقـاءَات للتلاميـذ مـع مـن هـو بحسـب ايمانهـم يسـوع القائِـم مـن بـين الأمـوات.
- بسـبب مـا اختـبره التلاميـذ، تحوّلـت حياتهـم بشـكل تـامّ. حـتّى أنّهـم أصبحـوا على اسـتعداد للمـوت مـن أجـل مـا يؤمنـون بـه.
- تـمّ الإعـلان عـن قيامـة المسـيح في وقـت مبكّـر جـداً، منـذ بدايـة تاريـخ الكنيسـة.
- قـدّم التلاميـذ شـهاداتِهم العلنيَّـة وتبشـيرَهم عـن القيامـة في مدينـة أورشـليم حيـث صُلـب يسـوع ودُفـن قبـل ذلـك بوقـتٍ قصـير.
- تركَّـزت رسـالة الإنجيـل المبكّـرة عـلى التبشـير بمـوت يسـوع وقيامتـه.

٨١. هـذه هـي النقطـة الوحيـدة الـتي لا تسـتوفي معايـير «الحـدّ الأدنى مـن الحقائِـق». ومـع ذلـك، يقـول هابرمـاس إنّ مـا يقـارب خمسـةً وسـبعين في المئـة مـن العلمـاء اللاهوتيّـين الذيـن درسـوا هـذا الموضـوع يقبلـون بالقـبر الفـارغ كحـدث تاريخـيّ.

- أصبح يوم الأحد، وهو يوم قيامة المسيح، اليومَ الرَّئيسيَّ للتجمُّع والعبادة بالنِّسبة إلى أتباعه.
- يعقوب الذي كان أخا يسوع ومشكّكاً قبل القيامة، تحوَّل بالتوبة والإيمان لأنّه هو أيضاً آمنَ أنّه رأى يسوع القائم من بين الأموات.
- بعد سنواتٍ قليلة، أصبحَ شاول الطرسوسيّ (الرَّسول بولس) مسيحيّاً بعد لقائه مع من هو بحسب إيمانه يسوع القائم من بين الأموات.[٨٢]

وبينما كان الدكتور هابرماس يقارب إنهاء وعظته في تقديم براهين مقنعة على الإيمان بالقيامة الجسديّة، أخبر قصّةً شخصيّة عن كيف أنَّ قيامة يسوع ساعدته على تخطِّي التَّجربة الأكثر إيلاماً في حياتِهِ الخاصّة. توقّف هابرماس للحظةٍ، وقبل أن يتحوَّلَ الصَّمتُ إلى توتّر،

٨٢. غاري هابرماس، يسوع القائم من بين الأموات ورجاء المستقبل (لانهام، دكتوراه في الطبّ: رومان وليتلفيلد، ٢٠٠٣)، ٩-١٠، اقتبس منه غيزلر وتوريك، لا أمتلك ما يكفي من الإيمان لأكون ملحدًا، ٢٩٩-٣٠٠.

تنحنح وتابعَ الكلام.

«لـن أنـسى أبـداً اليـومَ الـذي تـلى الفصح عندمـا تلقّيت الخـبر المُفجـع مـن طبيـبي: «زوجتُـكَ مصابـةٌ بسرطـان المعـدة». ويمكـن القـول إنّـه أسـوأ أنـواع السَّرطـان الـتي يمكـن للمـرء أن يُصـاب بهـا. بعـد أسـابيع، جلسـتُ عـلى شرفـتي بينمـا كانـت زوجـتي ديـبي نائمـة. كان يوجـد أنبـوبٌ خـارج مـن معدتِهـا وكان عـليّ أن أطعمَهـا عـبر الأنبـوب ثـلاث مـرّات في اليـوم. وبينمـا كانـت نائمـة، جلسـتُ عـلى الشّرفـة وأجريـتُ محادثـةً مـع الله. صلّيـتُ وقلـتُ: «أرجـوك يـا الله، هـي تبلـغ مـن العمـر ٤٣ سـنة فقـط وهـي الآن عـلى فـراش المـوت. يـا ربّ، هـي أمّ أولادي. هـي أقـرب صديقـةٍ لي. دعْهـا تَحْـيَ».»[٨٣]

بـدأت عينا سـوزان بيترسـون تغرورقـان بالدّمـوع، ونظرتُ إلى الأسـفل، ورأيـت جيسـيكا تصـارع دموعَهـا هـي أيضـاً.

لـم يتلـقَّ هابرمـاس ردّاً سريعـاً، لكنّـه شـعَرَ في مـا بعـد بتعزيـةِ الله، كمـا لـو أنّـه قـال: «يا غـاري، أن أفهـم معاناتك.

٨٣. شـهادة الدكتـور هابرمـاس مُقتبسـة مـن عـدّة شـهادات عـلى البودكاسـت عـلى موقـع www.garyhabermas.com

أعـرفُ ألمَـكَ. يـا غـاري، لقـد شـاهدتُ ابـني يمـوت. لقـد رأيـتُ كلَّ جلـدة. شـاهدته وهـو يختنِـقُ. هـل أنـتَ تتوقّـع أفضـل ممّـا حصـل عليـه ابـني؟ ولكـن يـا غـاري، لقـد أقمتُـهُ مـن بـين الأمـوات، وسـأقيم ديـبي أيضـاً.»

«حاولـتُ إقنـاع الله بالعـدول عـن ذلـك، ولـم أكـن أعرف أنّـه في خـلال أيّـام قليلـةٍ كنـتُ سأمسـك بيـد زوجـتي للمـرَّةِ الأخـيرة في حيـاتي. كانـت زوجـتي في حالـةِ غيبوبـةٍ، ووضعـت شـقيقةَ زوجـتي، وهـي ممرِّضَـة، السَّـمَّاعات الطبيّـة عـلى قلبهـا، وقالـت لي بـأن أتكلّـم معهـا. فقلـتُ لديـبي: «أحبّـكِ، أحبّـكِ، أحبّـكِ». فقالـت لي شـقيقة ديـبي إنّ مـا حصـلَ لا يُصـدَّق. عندمـا قلـتُ لديـبي إنِّي أحبُّهـا تسـارَعَتْ دقّـاتُ قلبها. وعندمـا لـم أقـلْ لهـا شـيئاً، تباطـأت دقّـاتُ قلبها. بعـد بضعِ دقائـق، توفّيـت ديـبي. كان ذلـك يـوم ٩ أبريل/نيسـان ١٩٩٥. دَفنـتُ أقـربَ صديقـة لي. كانـت خسـارة زوجـتي التجربـة الأكـثر ألمـاً الـتي توجّـب عـليَّ اختبارُهـا في حيـاتي، ولكـن إذا تمكَّنـت القيامـة مـن مسـاعدتي على تخطّـي وفاتها، فـإنَّ قيامة المسيح يمكنُهـا مسـاعدتنا على تخطّـي أيّ شيء. وعدُ السَّـماء

هـو العيـش إلى الأبـد مـع الله ومـع أحبَّائِكـم. وقيامـة يسـوع تعطينـا التأكيـد عـلى حقيقـة وعـد السَّـماء.»[٨٤]

ربَّتَـتْ أندريـا عـلى ذراع جيسـيكا بينمـا كانتـا تبكيـان همـا الاثنَتَـين. كانتـا أيضـاً تفكّـران بصديقَيْهِمـا، نيـك وجمـال. ولكـن حـتّى في وسـطِ الآلام، شـعَرَتا بالتَّشـجيع بينمـا ختـم هابرمـاس كلامَـه بكلمـاتِ يسـوع المذكـورة في إنجيـل يوحنـا ١٤، «إنّي أنـا حَـيٌّ فأنتـم سـتَحيون». عَرَفتـا بطريقـةٍ جديـدةٍ منعشـة بأنّـه بسـبب القيامـة يوجـدُ رَجَـاء. وبينمـا اسـتمعت جيسـيكا إلى الأسـتاذ المسـيحيّ يختـم عظتـه، سـمعته يشـجّع جميـع الذيـن لـم يضعـوا ثقتهـم بعـد بمـوت المسـيح الكفّـاري وقيامتـه عـلى القيـام بذلـك، وعـلى التقـدُّم إلى الأمـام والإعـلان عـن إيمانهـم. وبينمـا كانـت جوقـة المرنّمـين ترنّـم ترنيمـة الدَّعـوة تلـك، شـعرت جيسـيكا بيـدٍ تربّـت عـلى كتفهـا. كانـت لوريـن.

«يـا جيسـيكا وأندريـا، هـلاّ تـنزلان معـي؟ أريـد أن أضـع ثقـتي في يسـوع.»

٨٤. المرجع نفسه.

بينما أغلق الدكتور بيترسون عينيه وهو يصلّي، شعر بأحاسيس قويّة تجتاح كيانه. لكنّ أحاسيسه قاطعها شَخصٌ داسَ على رجلِه.

«أنا آسف يا دكتور بيترسون... اعذرني...»

«آه، لا بأسَ يا سكوت. أتوَدُّ مِنِّي أن أنزلَ معكَ إلى الأمام؟»

«سيكون ذلك مدعاةَ فخرٍ بالنِّسبَةِ إليّ يا دكتور بيترسون.»

بينما تجمَّعَت المجموعة في الأمام مع أكثر من مئتَي شخص يتعهّدون للمرّة الأولى بأن يتبعوا يسوع المسيح، ربّما أسعدَ شخصٍ بينهم في ذلك الصباح كان الدكتور بيترسون، وكانتِ الدّموعُ تسيل على وجهه. ولكن هذه المرّة لم يكن بيترسون يبكي على خطاياه! بل من أجل سرور رؤية البعض من طلاّبه يأتون إلى المسيح. في صباح الفصح هذا، لم يكن وارداً حصول محادثة أو جدال، بل كان هؤلاء المؤمنون الجدد سيتّفقون كلّهم على النقطة

الواحدة الرَّئيسيّة: قيامة يسوع المسيح تشكّلُ كلَّ الفارق!

كما كان يوم الفصح المميّز هذا بدايةَ أمر جديد بالنسبة إلى لورين وسكوت، ويمكن لهذا اليوم بالتحديد أن يكون بداية أمر جديد بالنسبة إليك. إذا واجهت الأدلّة بصدق وكنتَ على استعدادٍ لتَتَّضِعَ وتعترفَ بإيمانك بيسوع المسيح، يمكن أن يكون اليوم يوم بداية جديدة لك. تأمّل في الآيات التالية من الكتاب المقدّس:

قال لها يسوع: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكلّ من كان حيّاً وأمنَ بي فلن يموتَ إلى الأبد».[٨٥]

لأنّك إن اعترفتَ بفمك بالربّ يسوع، وآمنتَ بقلبك أنّ الله أقامه من الأموات، خلصْتَ. لأنّ القلب يؤمِن به للبرِّ، والفم يعترف به للخلاص.[٨٦]

٨٥. يوحنا ١١: ٢٥-٢٦

٨٦. رومية ١٠: ٩-١٠

مبـاركٌ الله أبـو ربِّنـا يسـوع المسـيح، الذي حسـب رحمتِهِ الكثـيرةِ وَلَدَنـا ثانيـةً لرَجَـاءٍ حَـيّ، بقيامـة يسـوع المسـيح مـن الأمـوات، لمـيراثٍ لا يفـنى ولا يتدنّـس ولا يضمحـلّ، محفـوظٌ في السَّـماوات لأجلكـم، أنتـم الذيـن بقـوّة الله محروسـون، بإيمـانٍ، لخـلاصٍ مُسـتعدٍّ أن يُعلـنَ في الزَّمـانِ الاخـير.[٨٧]

٨٧. رسالة بطرس الأولى ١: ٣-٥

تشمل سلسلة «أحاديث في مقهى»:

هل الكتاب المقدّس صحيح... حقاً؟

من هو يسوع... حقّاً؟

هل تمَّتْ القيامة... حقّاً؟